عندما يبكي الحب

الطبعة الأولى
١٤٣٨هـ-٢٠١٧م

تنبيه

لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب أو اختزال مادته بطريقة الاسترجاع أو نقله على أي نحو أو بأي طريقة سواء كانت إلكترونية أو ميكانيكية أو بالتصوير أو بالتسجيل أو خلاف ذلك إلا بموافقة المؤلف والناشر على هذا كتابة ومقدمًا.

اسم الكتاب	: عندما يبكي الحب
اسم المؤلف	: حسن خليل
الغلاف	: إيمان صلاح
الطبعة	: الأولى
رقم الإيداع	: ٢٠١٦/٢٠٢٨٨
الترقيم الدولي	: ٩٧٨-٩٧٧-٧٨٦-٠٨٠-٢

٨ عمارات الواحة – قطعة ١٠ – مدينة نصر - القاهرة
ت: ٠١١١٠٣٧١٦٤٠
ghorabpublishing@hotmial.com

عندما يبكي الحب

حسن خليل

دار غراب للنشر والتوزيع

عن الحب

حرقة وألم، وفراق وندم، وانتظار وكتمان، ولقاء ثم حرمان، ونحول جسم، وذهاب عقل، وفراق أهل، وهم وغم، ووحشة وغربة، وهيام فى المكان، وضياع فى الزمان، وجراح قلب وسقم، هكذا الحب مذ كان.

مهلا يا من اتهمت الحب بالألم، إن كنت تتكلم فكف عن الكلم، وإن كنت تكتب فاترك القلم، فلو عرفت الحب يوما لأنصفته، وبرقيق الكلام وصفته، فما للحب وما للألم.

تتكلم وكأنه برىء عما نجم، من فراق للأحبة، ومن موت أو سقم، فلولا الحب ما شعروا بالألم، وما شاغلهم الفكر، ولا الوجدان اضَّطرم، فكيف يكون بريئا من الألم.

أيها الداعى بلا سبب، لقد ادعيت عن الحب العجب، والحب برىء مما نُسب، فاقدح الفكر تعرف السبب، وانظر الأمر ترى العجب،

فالحب يملأ القلب رفقا؛ ، ويملأ الروح نـورا، والـنفس أدبـا، ويطلـق اللسان شعرا، ألا ترى فى ذلك عجبا؟

لا، وإنما رأيت ذلك هما، فما منع قيس عن ليلاه إلا قوله شعرا، وما منعوا المحبين إلا بعدما أشاعوا الحب، فلا أرى فى ذلك إلا أنهم قد رأوا الحب عيبا.

إنها بعض عادات العرب، وما للحب فيها من سـبب، وإنـما امـتلأ قلب عاشق بالحب؛ فأطلق فى لسانه الشعر، فقال العجب فى من أحب، فإن رآه انشرح القلب، فانطلق اللسان فرحا، فأسـعد كـل مـن سـمعه، وذكَّره بمن يحب. وإذا توارى عنه حزن، فانطلق اللسان يـشكو الفـراق والبعد، فأحزن كل من سمعه، وأبكاهم قلبا بعـد قلـب، ولـو أنـصف الناس لجمعوا الأحبة، وما فرقوا الحب، فما زادوهم بـالفراق إلا لوعـة، فبالبعد يشتد الجوى ويزيد الحب.

إذا فسوء العادات من فرق بين الحب وأهله، فـما بالـك بمـن جـن وذهب عقله، وهام الفيافى وفارق أهله، أعادات أم أن الحـب فى العقـل أصابه؟

اعلم أن المحب لا يخـشى إلا الفـراق، فـإن بعـد بكـى مـن لوعـة الاشتياق، وإن قرب بكى خشية الفراق، وفى كل أمل بعودة اللقاء، فإن تيقن البعد جن لفقده أمل اللقاء، فما هو جنون الحب وإنـما هـو جنـون الفراق.

فما بالك فى موت الأحبة عند فراق الأحباب، وانقضاء الأجل بـلا أسباب، فكم من عاشق فاضت روحه بلا سبب، عند علمه بأن الحبيب إلى ربه قد ذهب.

هى المنايا وما للمنايا من سبب، فكم من مريض عاش دهرا، وصحيح مات بغير سبب، وكم من صغير سكن قبرا، وكهل عاش حتى جدب، فإن كان الحب للمنايا سببا، فهو لها أشرف سبب، فقد مات شهيدا من إلى ربه بالعشق ذهب.

حيرتنى يا من تدافع عن الحب، وكأنك تعرف بماذا يشعر القلب، لكل سؤال جواب، ولكل شىء سبب، فهلا حدثتنى عن الحب، أو بماذا يشعر القلب حين يحب.....

الحب شعور فريد، واجده سعيد، وفاقده شريد، وقتيله شهيد، فإن صادفك فسر فى ركبه، وانزل على أمره، وعن أهله أبدا لا تحيد، فكل أمر فيه مباح، وكل شعور منه وليد، وكل ليالى الحب فناء، ولحظة من غيره عمر مديد.

الحب أن تجدك سائرا فى بحر محيط بمركب بلا شراع، أو غائصا فى ماء عميق ما له من قاع، أو مسافرا فى الفيافى بلا زاد ولا متاع، هكذا الحب لا تُعرف له بداية، وما له من نهاية، يدق فهمه عن عقول البشر، فإن ثبت بالروح فلا يترك فى القلب للمشاعر من أثر، طريق بلا رجوع، ودهر بكل ما فيه؛ لا يضاهى لحظة حب وإن صحبتها الدموع.

الحب ليس أن تشعر بحبيبك حين تراه، ولكن أن تشعر به حين لا تراه، ولا أن تكون معه حين حاجتك إليه، ولكن أن تكون معه حين حاجته إليك، ولا أن تسمعه حين يبوح، ولكن أن تسمعه حين يخفى، فإن أدركت ذلك فإنك محب، وإلا فللحب أقوام يعرفهم ويعرفونه واعلم يا من تجنيت على الحب، بأن النساء تبكى بحثا عن الحب، ويبكى

الرجل عند فقد من يحب، فحزننا بالحب، وفرحنا بالحب، وقل ما يبكى أحد عندما يبكى الحب.

أوَ يبكى الحب؟!

نعم كثيرا ما يبكى الحب

ومتى يبكى الحب؟

سؤال طُرح على العالمين، فانشغلت به الأذهان، وتفتقت العقول، وما من إجابة جلية، تشفى عناء المحبين، وتريح صدور السائلين، وكأنهم لا يعرفون الحب، ولم يشعر به قلب، إلا القليل من العشاق، من احترقت قلوبهم من الأشواق، وذاقوا العذاب فى بعد الأحباب، والهناء والسعادة فى الاقتراب، وكانوا فى حبهم من الصادقين، ولأحبابهم مخلصين، فأجابوا لعلهم يواسون قلوب المساكين، الذين ذاقوا بعد العاشقين، وصمت المحبين، فقالوا وهم باكين:

يبكى الحب عندما يصدق المحبون ولا يلتقون،

يبكى الحب عندما يملأ القلب ولا يبوح به المحب،

يبكى الحب عندما يطغى الحاسدون وبين المحبين يفرقون.

يبكى الحب عندما يعشق العبد حرة فيصمت ويقاسى العذاب والأنين،

يبكى الحب عند يعشق المرء من لا تحل له ، فلا البوح يفيد ولا الصمت يعين

نعم يبكى الحب ويعلو الأنين، ولكن لا يسمعه إلا المحبون

واعلم يا من تجنيت على الحب، بأن العمر ساعات، ما بين أفراح وأحزان، فضحكات وآهات، فلا أجمل من ساعة تنتظر فيها الحبيب، ولا أوحش منها حين عنك يغيب، ولا أهنأ منها حين تنعم بالقرب، فإن استطعت فاجعل ساعاتك كلها حبا، واسعى دائما للقرب، فإنما تقاس الأعمار بساعات الحب، وتزداد جمالا بنعيم القرب.

فهو المقام الأسمى، فكل مقام ينقضى بالموت، وإلى الخلود يكون مقام الحب، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أنت مع من أحببت)

حسن خليل

أسرار المحبين

للحب أسرار لا يعلمها إلا المحبون

تحملها أرواح، وتنبض بها قلوب، وتخفيها إن استطاعت العيون، فنظراتهم ليست كما النظرات، وإنما أسهم تصيب القلب وتتخطى الأجساد، وكلماتهم إشارات تحمل أعمق العبارات، وأنفاسهم آهات تتوارى خلف البسمات، قل ما يستطيعون البوح بما يحملون، أو التصريح بما يشعرون، وإنما تخرج من عيونهم عبرات، تسيل على الوجنات، فما بكاؤهم من حزن، وإنما البكاء طبع العاشقين.وكم طال بكاؤهم وعلا الأنين، لما علموا «بأن الله يحب كل قلب حزين»[1]

نظراتهم

آه من نظرات الأحباب، حديث بلا شفاه، وكلمات تلقيها مقلات

(١) رواه الحاكم فى المستدرك

من خلف الأهداب، عند الفراق رجاء و آهات، وعند اللقاء فرحة وترحاب، وعند الجفاء لوم، وعند الصلح غفران أوعتاب، فكل نظرات المحب سؤال، وكل نظرات المحبوب جواب، وإنما لا يدريها إلا من غاص فى بحر الحب، وفى أنوار العشق ذاب. ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾ (النجم ١٧)

ألسنتهم

أعفة اللسان، حديثهم ألحان، وصمتهم أشجان، لمحبوبهم ذاكرون، وعن غيره صامتون، لايعرفون الفحش وبذاء اللسان، وإنما الحسن والثناء، وإن هجاهم العزال، قد تفضح ألسنتهم ما تخفى قلوبهم، فتلقى نثرا، أو تنظم شعرا، يفيض حبا، فينهل منه القاصى والدان. ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ ﴾ (المؤمنون ٣)

أنفاسهم

أنفاسهم رياحين، ما بين شهيق وزفير، فشهيق يملأ القلب صفاء ونقاء، وزفير يخرج ما فيه من أهواء، فأنفاسهم لنفوسهم دواء، ولقلوبهم نقاء، ولأرواحهم ارتقاء. ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ (المجادلة ٢٢)

جمالهم

جمالهم لا يدركه عقل وإن وسع الخيال، ولا تبصره عين وإن اعتادت على الجمال، فما له من مِثل يعرف به، وما له من وصف عليه يقال، وإنما ملأ الحب بالنور بواطنهم، فازدانت به ظواهرهم، فصار النور لأجسادهم كالوشاح، تبصره القلوب وتدركه الأرواح؛ كلما بدا نوره أو لاح. قال تعالى: ﴿ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم ﴾ (سورة الحديد ١٢)

دقات قلوبهم

دقات قلوبهم كدقات دف يُطرب بها أهل الفن، أو نغمات وتر فى لحن أغن، يحسبها الجاهل من فرط حنينها تئن، و لا يدرى بأنها إلى الحبيب تحن، وتخفى عن العزال حنينها، فالحسد فى قلوب العزال ما منه أجن. ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥ ﴾ (الفلق ٥)

دموعهم

قطرات تملأ مقلات العين، ثم تنساب منها على الخد، من فيض حب ملأ القلب، ثم ازداد وتخطى الحد، فلا اللسان يعبر عنه، ولا الكتمان يريح القلب، فيسيل الدمع مفرجا للهم، وحاملا رسائل حب، من قلب إلى قلب. ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾ (مريم ٥٨)

نومهم

ينام الناس ولا ينامون، فتصحوا قلوبهم وإن نامت عيون، وتهيم أرواحهم فى من يحبون، مشغول فكرهم وإن استرخت أجسادهم، فما

النـوم راحـة لهـم، وإنـما بـرزخ لأهـل الحـب، فيـه يلتقـون، وللغـرام يتطارحون، فلا يرقبهم عازل ولا تراهم عيـون ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ٢٦﴾ (الإنسان ٢٦)

أحوالهم

سكارى بغير خمر، لا يفيقون ولا يتوبون.

أسُارى بغير أسر، لا فدو يبتغون، ولا قيد يسأمون.

حيارى بغير فكر، لا يختارون ولا يَتركون.

عبيد بغير رق، لا عن معبودهم يبرحون، ولا الحرية يطلبون.

غرقى بغير بحر، لا يسبحون ولا يستغيثون

أحيـاء بغـير مـوت، فأهـل الحـب لا يموتـون ﴿بَل أَحۡيَآءٞ وَلَٰكِن لَّا تَشۡعُرُونَ﴾ (البقرة ١٥٤)

المكان عندهم

حيث وجِد الحب توجهت أبصارهم، وسعت أجسادهم، ورحـل إليه فكرهم، فإن تيقنـوا سـجدت قلـوبهم، وامتزجـت أرواحهـم، ثـم غيبهم الحب عن المكان، فصاروا ولا مكان لهم، وإنـما وجهـتهم الحـب أيـنما كـان. ﴿فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ١١٥﴾ (البقرة ١١٥)

الزمان عندهم

أزمانهم بأوقات الحب تقاس، لا بما يعرفه الناس، فسنينهم أشواق، وشهورهم اشتياق، وأيامهم حنين، وساعاتهم سهد، ودقائقهم وجد، وثوانيهم اللقاء، فبالبعد وإن قل؛ أزمانهم سنين، وبالقرب وإن طال أزمانهم ثوان، فبالحب لا بغيره يقاس عندهم الزمان فتطول أو تقصر الأيام. ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ (الحج ٤٧)

آلامهم

ما قاسى المحب من ألم، أشد من شوق تأجج فى الصدر ثم اضطرم، لا يخمده إلا لقاء محبوبه، واللقاء بينهما قد حَرُم.

ولا من حب وليد ملأ القلب، إن باح به ندم، وإن آثر الكتمان اشتد الألم

أو من صد محبوب بحبه له قد علم، فلا يدرى أجفاء أم هجر، أم خوفا من لوم العزال كتم .

فلا تحزن أيها المحب العاشق، فأسمى ما فى الحياة حب بلا أمل ﴿ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ (يوسف ٣٠)

خوفهم

كم يقاسى المحبون العذاب، من صد أو لوم أو حتى عتاب، فما وهنوا ، وما يأسوا، فكلها للوصل -وإن تعددت- أسباب، ولكن ما

أخوفهم من ذهاب بلا إياب،و هحر بلا أسباب، أو غياب واغتراب، فكل على المحبين يهون إلا فراق الأحباب. ﴿ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ ﴾ (التوبة ٩٢)

فلا تلوموا على محب بكى، فدمعته بحر من الأحزان تلاطمت فيه الأمواج، ولا تلوموا عليه إن يوما شكا، فشكوته صرخة مهموم أضناه البعد وآلمه الشوق، وصاحبته الأشجان، وما له غير الوصل انفراج، فلا تلوموا على محب أبدا، فإنما هو كمن جنحت به المركب، فى بحر محيط لا يعرف مشرقه من المغرب، إن يتركها يغرق، وإن يجدف يتعب، فلم يجذع ولا حظه يندب، وإنما سلم أمره وإلى الله اشتكى، وسالت دموعه على خده وإلى الله بكى، علَّ الله يجمعه بحِبه، فعلى الله جبر الخواطر، ولن يرد الله قلبا بكى، قال تعالى:﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ (يوسف ٨٦)

وننتقل من الحب وأسرار المحبين، إلى قصص العاشقين، الذين هاموا فى الحب ذائبين، ففى قصصهم عبرة، وفى قصصهم جمال ظاهر للناظرين، فكلهم أسعده الحب، وإن لم يحظ بمن يحب، ولولا فراقهم، ولوعتهم، ما وصلت إلينا بلاغتهم ولا أشعارهم، ولا قصصهم، فقد أثرى الحب الشعر والنثر، ودام فى دنيانا إلى يوم الدين.

من عرف اسمهما

صحبة للنهاية

١ - الأحوص وبشرة

مـا لجديـدِ المَـوْتِ يـا بِـشر لـذّةٌ ... وَكُـلُّ جَديـدٍ تُـستَلَذّ طَرَائِفُـهْ
فَلا ضَيرَ، إنّ اللهَ يَا بِشرَ سَـاقني ... إلى بَلَـدٍ جَـاوَرْتُ فِيـهِ خَلائِفـه
فَلَستُ، وَإنْ عَيشٌ تَوَلّى، بِجازِعٍ ... وَلا أنا مِمّا حَمّمَ المـوْتَ خائِفُـه[1]

كانت بشرة جارية للأحوص، وقد أحبها حبا شـديدا، ولم يفارقهـا طوال عمره، وكان يصحبها فى جميـع أسـفاره، وهـى عـشقته عـشقا لا حدود له، فكانت دائمة القرب منه، وفى أحد أسفاره إلى دمـشق، وافـاه مرض المنية، فبكى، خـشية عليهـا بعـد الفـراق، فوضـعت رأسـه عـلى فخذيها وبكت وكانت الـدموع تنـزل عـلى خـده، فرفـع رأسـه وأخـذ يواسيها بأن الدنيا زائلة والجنة باقية، فمات، فأخذت تبكى حتـى ماتـت فى يومها ودفنت معه.

(١) الأحوص بن محمد – مصارع العشاق

اللوحة الأدبية

عشقها وولع بها، ولم يستطع يوما فراقها، لأنها جميلة رقيقة، سريعة الدمع على خدها، وأحبته واشتد غرامها، لأنه لين الطبع، جميل الشكل، ينشد دوما ودها، سافر يوما وما تركها، فلما جد السير اشتكى، وحضرته الوفاة فبكى، حزنا على فراقها، فأخذت برأسه ووضعتها على فخذها، وجعلت تبكى وتقطر عليه الدموع من خدها، فرفع رأسه ليرى ما بها، وأنشد شعرا عله يخفف ما بها، يحقر الدنيا ويطلب الآخرة وجنانها، ثم مات على فخذها، فجزعت واشتد بكاؤها، فما انقضى الليل إلا وهى فى قبرها.

الوقور والحب

٢ - أبو ريحانة وجمعة

سمراء ياحلم الطفولـة يامنية النفس العليلـــة

كيف الوصول الى حماك وليس لي في الامر حيلة

ان كان في ذلي رضـــاك فهذه روحي ذليلـــة[١]

أبو ريحانة شيخ وقور أفقده الحب وقاره، حين رأى جاريـة سـوداء رشيقة جميلة تحمل قربة وتتمايل بها، فوقع حبها فى قلبه فتبعهـا، وطلـب منها أن تغنى له على أن يحمل القربة عنها، فلما غنت لـه تواجـد وألقـى بالقربة فكسرها، فبكت خوفا من مليكها، فقال لها لا تبكى وذهـب إلى السوق فباع ثوبه واشترى لها قربة، وجلس عاريا يضع يده عـلى عورتـه ليداريها، فمر عليه أحد الأشراف يداعبه، ثم أعطاه أمولا ليشترى ثوبـا جديدا.

---

(١) الأمير عبد الله الفيصل

اللوحة الأدبية

سوداء اللون رشيقة القد، جميلة البسمة، رائعة الصوت، تتمايل فتميل القلوب حيث مال منها القدُّ، اسمها جمعة، وما لها مثل، كالجمعة فى الأيام؛ ما لها ند، وهو أبو ريحانة شيخ جليل وقور قوله لا يرد، ولكن الحب أصاب من الحد، حين مرت أمامه تحملة قربة ويتمايل من حملها القد، كأنها غزالة تتهادى على الأرض، فهب مسرعا خلفها، كما يفعل إذا رأى الغزالة الفهد، فقال: يا سيدتى هل لى منك بصوت، عل به قلبى إلى جسدى يرد، فقالت: وعلى كتفى القربة؟، فقال: أحملها عنك، فغنت فطرب من غنائها؛ وضرب بالقربة الأرض، فبكت وقالت أهكذا منك الجميل يُرد، فقال مهلا ودعى البكاء فمصيبتى أكبر منك، فصحبها إلى السوق فباع شملته، وجلس عاريا ويديه على عورته، فمر به شريف وعرف قصته، فقال: أحسبك من الذين قال الله فيهم ﴿ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴾ (البقرة ١٦) فقال يا ابن رسول الله وعترته إنما أنا من الذين قال عنهم: ﴿ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ١٧ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓ ﴾ (الزمر ١٨) فضحك الشريف وأعطاه ألف درهما يقضى بها حاجته، فأخذها واشترى منها شملته. آه من جمال الحب وسيرته.

ضحيتا الهوى

٣ - أبو مالك بن النضر وسعاد

يَا رَسِيسَ الهَوَى أذَبتَ فُؤادِي، ... وَحَشَوْتَ الحَشَا عَذاباً أَلِيمَا[١]

أبو مالك بن النضر، فتى من بنى عذرة عشق فتاة عذرية تسمى سعاد بنت أبى الهيذم، وهى ابنة عم له، ولكنه اختفى بضع سنين، وفى يوم ضلت إبل لأحدهم من حيه فلما خرج ينشدها سمع صوتا ضعيفا يشكو الهوى، فإذا به بأبى مالك، فسأله عن خبره وسر اختفائه، فقال عشقت ابنة عمى سعاد، ولما شكوت ما أجد لابن عم لى، احتملنى إلى هذا المكان، وكل يوم يأتنى بخبر عنها، ويأتنى بطعام، فقال الرجل: أنا أخبر أهلها، وتركه وذهب فأخبر أهلها بحاله، فقالوا: هى له إن شاء الله، فعاد إليه الرجل ليزف له الخبر، فإذا به فى الرمق الأخير، فجلس عنده حتى مات، فلما أخبرهم بذلك مكثت الفتاة بعدها بثلاث ثم ماتت.

---

(١) أبو مالك بن النضر

اللوحة الأدبية

أبو مالك بن النضر، عاشق لم ينصفه الدهر، مازال فى عشقه حتى اختفى، ولم يعرف له أثر، و مر من السنين عشر، حتى مر جار له فى سفر، على واد فضلَّت له إبل، فراح ينشدها فسمع أنينا له فى القلب شديد الأثر، يبكى وينشد شعرا، تذوب منه الحشا، ويلين إليه الحجر، فقال: من؟ قال: مالك بن النضر، قال: ما بك وما فعل بك الدهر؟، قال: عشقت سعادا فشكوت لا بن عمها ما أجد، فاحتملنى وتركنى ويأتينى كل يوم عنها بخبر، فرق الرجل لحاله وقال: انتظر، لعلى آتيك من أهلها بخبر، فأتاهم وقص عليهم الخبر، فرقوا له وقالوا: هى زوجته إن حضر، فعاد إليه الرجل، ليزف له الخبر، فقال: الآن وقد حشرجت النفس واحتد البصر، وزفر زفرة فمات، فواراه ثم حمل إلى أهله الخبر، فمكثت ثلاثا لا يبيت فى جوفها للطعام من أثر، ثم ماتت لتلحق بأبى النضر.

وفاء وغدر

٤ - حسن ونعيمة

قلْبي يُحدّثُني بأنّكَ مُتلِفـــــــي روحي فداكَ عرفتَ أمْ لمْ تعرفِ

لم أقضِ حقَّ هَوَاكَ إن كُنتُ الذي لم أقضِ فيهِ أسىً ، ومِثلي مَن يَفي

ما لي سِوى روحي، وباذِلُ نفسِهِ، في حبِّ منْ يهواهُ ليسَ بمسرفِ

حسن مطرب شعبى من إحدى قرى الدلتا بمصر المحروسة، وبطبيعة عمله كان دائم التنقل بين القرى فى ذلك الوقت، فأوقعه الحب فى نعيمة، وهى فتاة جميلة من قرية مجاورة لقرية حسن، ولكن رفض أهلها زواجها من حسن، لأنه من طبقة فقيرة، وهم من أصحاب الأرض والمال، ولكن تمردت نعيمة على هذا الرفض، وفرت من بيتها إلى قرية حسن، وجاء أهلها إليه واصطحبوا ابنتهم على وعد منهم أن يزوجوها له، فلما ذهب معهم غدروا به وقتلوه، وهزت هذه الجريمة أركان الدلتا، بعدما طفت جثة حسن فوق الماء.

اللوحة الأدبية

جميلة رقيقة، فى السن صغيرة، وفى القد رشيقة، واسمها نعيمة، والفتى اسمه حسن، فاق صوته صوت الطير على فنن، ملأ الريف بألحان يُطرب لها القلب قبل الأذن، فأحبه الناس وقالوا: حسن، كلما صدح بصوته الجميل؛ تحن إليه القلوب وتميل، ولم تكتف بالسمع نعيمة، وإنما أرادت نظرة كريمة، فوقفت فى العلية تنظر إلى حسن، وارتفع الموال برأسه فالتقى النظر بالنظر، فارتجف قلب نعيمة وتلجلج فى القول حسن، ثم عاد وتدارك النظر، وكلما التفت ضحكت وتبسم لها حسن، فوقع حبه فى قلب نعيمة، وولّه بحبها حسن، فعاد يكلم ذويها، فقالوا زواجها لابن عمها قد قُسم، فعاد على أدراجه يملأ قلبه الحَزَن، وأبت نعيمة العيش والزواج بغير حسن، ففرت من بيتها وارتمت فى أحضان حسن، فصانها الفتى حتى لحق به أهلها، فتصدى لهم حسن، فاستدرجوه باللين وبالقول الحسن، أن ردها إلينا فقد قال الناس عنها قولا غير حسن، ثم ائتنا وهى لك ولن تعود بغيرها يا حسن، فذهبا معهم ويحزوه فى زاوجه منها الأمل، والعيش فى سعادة وهناء إلى الأبد، فقتلوه غدرا، وفصلوا الرأس عن الجسد، وألقوه فى النيل فلم يعرفه سوى أمه أحد، أما نعيمة فلم ندر ما حدث لها ولم يحك عنها أحد، وإن كان الحاقد أعمى القلب، قد قضى على قصة الحب، فقد خلدها الموال إلى الأبد، هكذا الصادق من الحب يعيش فى قلوب الخلق وإن طال الأمد.

حب أم خطيئة

٥ - ياسين وبهية

فإنْ تَسألوني بالنِّساء فإنَّنـــــي بصيرٌ بأدواءِ النِّساء طـــــبيبُ

إذا شاب رأسُ المَرْءِ أو قَلَّ مالهُ فليس له من وُدِّهِنَّ نصـــــيبُ

يُرِدْنَ ثَراءَ المالِ حـــيثُ عَلِمْنَهُ وشَرْخُ الشَّباب عنْدَهُنَّ عجيبُ[1]

قصة يا سين وبهية، من قصص الحب التى حيرت الناس، ولم يدروا أكانت قصة حب صادقة، أم كانت غير ذلك، فياسين هو أحد أفراد قبيلة العبابدة، وقد ذاع صيته فى الصعيد وحتى وصل إلى القاهرة، كأكبر قاطع طريق فى ذلك الوقت، ولا ندرى كيف انحرف به المسار إلى أن يكون كذلك، وقد أرسلت أكثر من قوة للقضاء عليه فلم تفلح، حتى استطاع أحد الضباط قتله بأربع رصاصات فمات فى الحال، فخرجت شابة تحمل مولودا، وتزغرد فرحا بمقتله، ولا ندرى أكانت حبيبته وتعيش معه بإرادتها، أم كانت مختطفة وقام باغتصابها، فحتى

(١) علقمة الفحل

الآن لم تسدل الستار على هذه القصة، وإن كانت مشهورة على أنها قصة حب كبيرة بين ياسين وبهية.

اللوحة الأدبية

يا سين وبهية، قصة حب أم خطية؟، عاش الفتى فى الجبال العلية، لم ندر أهى عزلة، أم هربا من يد الحكم القوية، فذاع صيته وبطشته القوية، فقالوا: قاطع طريق، وقالوا: لص، وقالوا: قاتل لا يعرف الرحمة، ويروى قلبه بسفك الدماء ريا، فصار الفتى بطلا لأصحاب الهمم الردية، وكل من صار فى الخلق ضحية، ومجرما عند أصحاب المقامات العلية، وكل من نظر إلى الخلق نظرة ردية، فخاف منه القاصى والدانى، بمجرد سماع اسمه ترتجف حتى القلوب القوية، حتى جاءه من لا يعرف للخوف هوية، وبالحيلة أخرجه من المغارة، ثم بادره برصاصات قوية، فأرداه قتيلا ولم تنفعه قبضته القوية، فخرجت بالزغاريد من المغارة بهية، ولم يُعرف أفرحا بموته، أم خوفا من بطش الأهل ببهية، وصرخ على يديها طفلها، ولا ندرى أهو ثمرة عشق أم نتاج خطية، فانتهت بالقتل حياة ياسين، ولم يدر الناس شيئا عن بهية، وإن ظنوا بأن القتل كان لها نهاية طبيعية، فصارت حكايتهما موالا وأغنية، على الربابة يرويها الراوى، وصارت منسكا من المناسك الشعبية، وكل يتمايل لها، وكل يفخر بياسين، وكل يحزن لبهية، ولا زلنا لا ندرى أهى قصة حب أم خطية!

الجبار والحب

٦ - شمشون ودليلة

ميزت بَين جمَالهَا وفعـــــالها ... فَإِذا الملاحة بالقباحة لَا تفي

حَلَفت لنا أَن لَا تخون عُهُودنَا ... فَكَأَنَّهَا حَلَفت لنا أَن لَا تفي[1]

تشير قصة شمشون ودليلة إلى الصراع القديم بين الفلسطينيين والإسرائيليين، وتتحدث هذه القصة، الواردة في أسفار العهد القديم، والتي جرت حوادثها في مدينة غزة، عن غرام شمشون اليهودي بدليلة الفلسطينية. والحكاية على النحو التالي: كانت أم شمشون قبل ولادته عاقراً، لكن ملاك الرب بشرها بأنها ستلد غلاماً، وهذا الغلام سيخلص بني إسرائيل من الفلسطينيين الذين كانوا أسياد المدن في جنوب فلسطين. وعندما حملت المرأة الإسرائيلية ثم ولدت ذاك الغلام دعته باسم «شمشون». ونشأ شمشون جباراً، فكان يحرق زروع الفلسطينيين في عسقلان، ويسلب أمتعتهم. وقد استقر شمشون في غزة، وهناك تعرف إلى فتاة غزية تدعى «دليلة» ووقع في غرامها،

(١) ابن السراج

وتزوجها خلافاً لإرادة والديه. أما دليلة فكانت تعد العدة مع قومها الفلسطينيين للانتقام من شمشون الجبار. وعلمت، بالتدريج، أن سر قوة شمشون تكمن في شعر رأسه، فأخبرت قومها بذلك، واحتالت عليه بالنوم على ركبتيه.

وعند ذلك هجم قوم دليلة عليه وقصوا شعره وفقأوا عينيه وأوثقوه بالسلاسل، واعتقدوا أنهم تخلصوا من بطشه وشره. وفي أثناء إقامته في السجن راح شعر رأسه ينمو رويداً رويداً. ولم يطل الوقت كثيراً حتى استرجع شمشون قوته. وبينما الفلسطينيون يحتفلون بإله القمح ويمرحون في المعبد وعددهم يزيد على ثلاثة آلاف رجل وامرأة، عمد شمشون إلى جذب السلسلتين اللتين توثقان ساعديه، وكانتا مربوطتين إلى عمودين من أعمدة المعبد، وصاح: «عليّ وعلى أعدائي يا رب». وفي تلك اللحظة انهار المعبد على الرؤوس، وقتل الكثير ومن بينهم شمشون ودليلة.

اللوحة الأدبية

بشرها ملاك الرب بغلام وكانت عـاقرا، فأنجبـت مـن ظنـوا أنـه للعالم من الظلم مخلصا، فنشأ شمشون جبارا فارعا، لا يخشى مقـيما ولا غازيا، ولا يقدر عليه من كان للقوة صاحبا، وعلى البطش قـادرا، ورأى الجبار (دليلة) وقد كان جمالها طاغيا، فوقع فى قلبه الحب، والحب أقـوى من الجبال الرواسى، وآثرت قومها على حبها، فاستدرجته وعلمت بأن سر قوته فى شعره كامنا، فاحتالت ونامت على ركبتيه، فظـل عـلى حالـه ثابتا، فانقض عليه القوم قبل أن يقوم مصارعا، فقصوا شـعره، وفقـأوا عينه، وقيدوه بالسلاسل، وسـحبوه بهـا مكـبلا، وظنـوا أنـه للـضعف استسلم، حتى نما شعره وعاودته القوة ثانيا، واجتمـع القـوم فى المعبـد، ليحتفلوا بعيد الإله الأمجد، فجذب الجبار السلاسل، وقد قيدت بعـاده الأوسط، وقال على وعلى أعدائى يا رب فاشهد، فانهدم على القوم وبهم دليلة المعبد، ومات شمشون بعد أن أدرك بأن حبه سر نهايته.

حب بلا حدود

٧ - عاصم وإيزابيلا

يا لائمى فى حُب مَنْ مِـنْ أجلـه ... قد جَدَّ بى وجـدى وعـزَّ عزائـى
هلاَّ نَهَاك نُهَاكَ عن لَـوْم امـرىءٍ ... لــك يُلْــفَ غَــيْرَ مُــنَعَّم بِــشَقَاءِ
لو تدر فِـيم عـذَلْتَنِى لَعَـذّرْتَنِى ... خَفِّضْ عَلَيكَ وخَلِّنِى وبَلائى[1]

عاصم فتى مسلم، كان جده من وزراء الملك، فوشى بـه الواشـون فأقعده الملك، ولكن بعد علمه بأنه ظلمه، تعهد بأن يكون عاصما عندما يكبر من أمراء الملك، شب مع أسرة مسيحية بـالجوار وكانـت إيـزابيلا ابنتهم فأحبها وأحبته، وطلبها للزواج ولكن أباها رفـض إلا أن يكـون الفتى صاحب عمل، فقال أمهلونى عاما فأمهلـه فلـما ذهـب إلى الملـك طرده، فذهب إلى مملكة بالجوار فأكرمه ملكها ولكنـه بقـى عنـده خمـس سنوات، وعاد وقد تزوجت إيزابيلا وكان هذا يومهـا الثالـث، ولكنهـا مرضت ولم يدخل بها زوجها، فلما علم ذلك تسلل إلى القصر وزارهـا،

(١) عمر بن الفارض فى ديوانه

وعلم أن زواجه منه أصبح مستحيلا، فمات من يومه، فلما مرت الجنـازة بقصرها، نزلت ليلا تبحث عن قبره وألقت بنفسها عليـه وماتـت هـى أيضًا.

اللوحة الأدبية

وما زلنا مع طيب الأندلس الرطيب، حيث قصة حب حق عجيب، بين فتى وفتاة عن عينه لا تغيب، جيرة فى السكن، ومساواة فى السن، وائتلاف فى القلب، وما ظنا الفراق يوما، ولكن حكم القضا عجيب، ما اختلفا إلا فى الدين، والدين لا يفرق بين حبيب وحبيب، جده من خليفة المسلمين قريب، فوشى الواشون به فأبعده الملك، وإن كان بعده عنه لا يطيب، ثم أدرك ظلمه، فقال: يحل مكانه يوما الحفيد، عندما يكبر وله مكان منا قريب، وأغدق عليه المال، عوضا عن ظلمه الرهيب، حتى شب الفتى، وتحول قربه من الفتاة إلى حب عجيب، ولكن ذاك العشق لوالدها لا يطيب، فمنعها عنه علها للبعد تستجيب، فزادت به ولعا، واحترقت شوقا لرؤيا الحبيب، فقال الفتى: يا عم أيمنعك الدين من طلبى أن تستجيب، فأتزوج ابنتك فأنا لها حبيب، ولست عنها بغريب، قال: لا، ولكنى أراك بلا غد، وطريق الحياة يا بنى صعيب، قال سأذهب إلى الخليفة، وقد وعدنى بمكان منه قريب، فأمهلنى عاما ثم إليك أعود، فأمهله وطيب خاطره، ووادعته الفتاة بالهمس وبالورود، وتعاهدا على الصبر والوفاء بالعهود، وهامسها بكلمات عذبة، وبقلب ودود، وقالت: أحبك مهما فرقت بيننا السدود، فلا تغب على، قال غدا إن شاء الله بالحب وبالود أعود، ومضى الفتى حاملا من الملك الوعود، ولكن الملوك لا تفى بالوعود، فطردوه، ومضى الفتى ودمعه على الخدود، لا يدرى أيمضى قدما، أم بأذيال الخيبة

يعود، ففر إلى مملكة على الحدود، على عرشها ملك عادل ودود، قل الزمان بمثله أن يجود، فقربه منه، لما علم رقة قلبه الودود، ومر عام ثم عام حتى تمت خمسة والفتى للحبيبة لا يعود. قال الوالد: يا بنيتى المنال بعيد، ذهب الفتى ولا أظنه يعود، وزواجك خير علاج لقلبك الودود، فزوجت وسقطت مريضة، عند كتابة العقود، فحملوها لأعلى القصر، ولسانها الجميل معقود، وإذا بعاصم فى الليلة الثالثة يعود، محلى بالذهب وبالفضة وباللؤلؤ المعقود، فاستقبلته الأم بفرحة ممزوجة بحزن عميق، وأخبرته فقال ليتنى لم أعد، فهرع متسورا قصرها المرصود، فلما رأته بكت، وقالت فات الأوان، فاذهب ولا تعود، فقال إما الوصال وإما أموت، قالت الحياة أمامك، وقد تعست بزواجى المنشود، وداعا يا حبيبا قد طال انتظاره، حتى ظننته لا يعود، وتراجع الفتى والعبرات تشق الخدود، حتى توقف عن الخفقان قلبه الودود، بعد أن ردد قوله: إيزابيلا لن تعود، وفى الصباح مرت جنازته بالقصر، والنساء خلفها يلطمن الخدود، ونزلت العروس ليلا تبحث عن القبر الجديد، فوجدها الحارث وقد انكبت واحتضنت ثرى اللحود، فجذبها ليساعدها على النهوض، فإذا وقد فاضت روحها، لتلقى الحبيب حيث لا حدود.

من عرف اسمها
ولم يعرف اسمه

حق الأخوة

٨ - عاشق بنى كندة وريا

قلْبــي يُحــدّثُني بأنّــكَ مُتلِفــي، روحــي فــداكَ عرفــتَ أمْ لمْ تعــرفِ
لا غَروَ إنْ شَحّتْ بِغُمضِ جُفونهـا عينــي وســحَّتْ بالــدُّموعِ الــدُّرَّفِ
أخفيــتُ حــبَّكمُ فأخفــاني أســىً حتى ، لعَمري، كِدتُ عني أختَفي[1]

أخ همام من بنى كندة، يستخلفه أخوه فى سفره على أهله، فرأى يوما زوجته وهى حاسرة الرأس دون أن تدرى، فوقع فى قلبه حبها، وأمرضه ذاك الحب، فلما جاء أخوه استعان بجميع أهل الطب، ولكنهم لم يجدوا دواء للحب، فأسكروه حتى يعلموا ما به، فلما سكر ذكر زوجة أخيه، فقال أخوه هى طالق منى، فتزوجها يا أخى، فقال : هى على كظهر أمى، فلم يتزوجها، ثم انطلق هائما فى الصحراء إلى أن مات، فاختلف الناس أيهما أكرم هو أم أخوه.

(١) عمر بن الفارض فى ديوانه

اللوحة الأدبية

غرام ما بعده غرام، وعفة ووفاء واحترام، وكتمان وسهر وسقام، حين استخلف الأخ أخاه الهمام، على بيته لسفر له إلى الشام، فدخل يوما وقد نزعت زوجته عن وجهها اللثام، فرآها وكانت كالبدر فى ليل التمام، فمدت يدها لتعيد اللثام، ولكن هيهات فقد وقع الغرام، فانزوى وقد جفاه المنام، وكف عن لسانه الكلام، وآسى ليالى الصب، وكذا الآيام، وبات عليلا من ذوى الآلام، كلما رآه أخوه بكى، وقال أخبرنى ما بك من آلام، فيبكى ويصمت خشية افتضاح الغرام، فطلبوا راق عله يزيل السقام، فقال: ما به من مرض، وإنما هو العشق والغرام، فأسقوه خمرا عله ينسى الوفاء بالآثام، فصرَّح السكير بالغرام، فقال زيدوه فقد بدأ الكلام، فزادوه فصرح باسمها وافتضح الغرام، فطلقها أخوه فى الحال، وقال: نعتاض بالزوجة، ولكن مثل أخى لا تأتى به الأيام، فأبى العاشق زواجها، وقال: هى على كأمى، وقد مات الكلام، ثم انطلق هائما، ومات فى الهيام، فلما علم أخوه مات حسرة على رفيق الأيام، فاختلف فى أيهما صاحب الإكرام.

الموعد العجيب

٩ - سعدى وفتاها الأسدى

إن الكـــريمين ذوي التـــصافي الـذاهبين بالوفـاء الـصافي
أبعد والله ما لقيت في تطوافـي من غدر ومن إخـلاف[1]

من ميتين فى ذرا أعراف

سعدى، فتاة جميلة، وقد عشقها فتى من فتيان بنى أسد، وأبى أبـوه أن يزوجها له، وأبى أهلها أيضا ومنعوهـا منـه، فأرسـل إليهـا، يخبرهـا بمدى اشتياقه إليها ويتهمها أنهـا لـيس بهـا نفـس الـشوق، فقالـت: لا تعجل وأخبرته أنها لا تبالى بما يفعل أهلها ولكنها ستموت غدا وتلقـاه، فذهب إليها فى الغد فوجدها ميتتة، فاحتمل جسدها وذهب بعيدا عـن القوم، فلم يعرفوا مكانها، إلى أن وجدوهما يوما متعـانقين تحـت سـفح أحد الجبال، فحملوهما ودفنا فى قبر واحد.

---

(١) لصاحب سعدى من مصارع العشاق

اللوحة الأدبية

منعه أبوه وصل الحب، ولم يشفع له ما به من وجد، فقاسى الغلام و الوجد عليه اشتد، فأرسل إليها والله ما بعد ودك ود، وما لى سواك إليه استند، والله لقد غارت العينان من حبك، وتفتت من أحشائى الكبد، قالت: لا تعجل حِبى، كفانى ما بى من بلاء وجهد، وزفرة ألم وعبرة تسيل على الخد، حتى أصبحت لا أبالى بهزل من أهلى أو بجد، فإن منعونى عنك فذاك شأنهم، ولكنى بالموت ألقاك فى الغد، فأتنى وتلمس مكانى، فإن لم تجمعنا الحياة سويا، جمعنا من دونها اللحد، فحياة العاشقين لهم بدون وصلٍ؛ موت ، والموت لهم حياة وسعد، فلما جاءها وجدها قد وفَّت بالوعد، وماتت فحملها ولم يقترب من أحد، واختفيا زمنا، وما علم الناس موقع اللحد، حتى رأوهما بعد زمن موتى يعانقان بعضهما البعض، هكذا يكون الود، فلا يفرق الموت الحب، ولا ينسى المحب العهد، فإن منعا العناق فى الدنيا، تعانقا بعد الموت، فدفنوهما معا وأسكنوهما اللحد.

حب وغربة

١٠- حميدة وزوجها

وَكُلُّ مُصِيبَاتِ الزَّمَانِ وَجَدْتُهَا سِوَى فُرْقَةِ الأَحْبَابِ هَيِّنَةَ الخَطْبِ[١]

فتاة من فتيات العرب، من أهل المدينة، طلبها رجل ليس من السكان الأصليين للمدينة، فتزوجت على كره منها، ولكن لما وجدت فيه حسن الخَلق والخُلق أحبته حبا شديدا، وتعلقت به، وهب سكان المدينة يوما فطردوا كل من لم يكن من المدينة، فتحيرت حميدة إما الزوج وإما الأهل، ولكن سرعان ما اختارت الزوج، ولكنها كانت تبكى بكاء شديدا على هجرها للمدينة، وخرجت يوما فسمعت من يتغنى بجمال المدينة فماتت من حسرتها، فلما ذهبوا بها إلى زوجها ورآها تحسر عليها ومات أيضا عند رؤيتها.

(١) قيل إنه لقيس بن ذريح وذكره الخرائطى فى اعتلال القلوب عن سعيد بن المبارك أنه وجده مكتوبا على حجر فى الجاهلية

اللوحة الأدبية

جميلة ظريفة، من نساء المدينة، صفاتها حميدة، واسمها حميدة، رآها موسر من غرباء المدينة، فأخذت بقلبه، وذهبت بلبه، فسأل: فقالوا حميدة، جميلة رشيقة، فى النسب أصيلة، وفى الشرف رفيعة، فخطبها فزوجت له على كره من حميدة، فلما رأت من حسن صفاته، وأرائه السديدة، أحبت زوجها وأخلصت حميدة، ومكثا قليلا بالمدينة، ثم هب أهلها وأخرجوا كل من كان غريبا عن المدينة، فاشتد بكاؤها على زوجها واشتد بكاؤه على حميدة، فإما الأهل والوطن، وإما الزوج وصفاته الحميدة، فاختارت الزوج وغادر الحبيبان المدينة، وأخذ يواسيها وتبكى حميدة، فضمها وأعلمها أن ما باليد حيلة، وخرجت يوما فى المقيلة، وسمعت شابا يتغنى بالمدينة، ويتفنن فى طرقاتها، ويذكر أيامها الجميلة، وطيب مواضعها وأشجارها الجميلة، فلما سمعته شهقت وماتت بالفراق عليلة، فحملوها لبيتها، فلما رآها قال: انتهت أيامى الجميلة، لو كنت أعلم ما فارقت المدينة، ولكنه القدر يا حميدة، والله لا يهنأ عيش بعدك، فقد باتت الروح عليلة، وانكب عليها ميتا، فدفنوهما معا بعيدا عن المدينة.

عهد ووفاء

١١- هند وابن عمها

ألا ليتَ شِعرِي هَل تَغَيّرْتَ بَعـدَنَا أمَ انتَ على العَهدِ الذي كنتُ أعهَدُ[1]

عشقت هند ابن عمهـا وعـشقها، ولكنـه كـان فقـيرا فـأبى الأب الزواج إلا على كثير من المهر، فطلبت منه هند السفر لطلب الرزق، على أن تبقى هى على عهده ويبقى على عهدها، و ألا يتزوج غيرها وهى على قيد الحياة، ففعل، فبلغها أنه تزوج، فراسلته لتتأكد من الخبر، وراسـلها، حتى عاد إلى القبيلة و قد مات أبوها فتزوجها.

(١) هند صاحبة القصة – مصارع العشاق

اللوحة الأدبية

فقير وقلبه نابض أبدا، بحب هند ابنة العم، رفيقة الطفولة والصبا، و قد فاق عشقها له المدى، فطلب القرب من العم فأبى، إلا أن يأتيه بالمال مغدقا، فإن لم يفعل فليس أهلا لها، فأرسلت إليه أن اخرج للرزق طلبا، وإنى باقية على العهد أبدا، فإن أمت فلك الحياة أبدا، فخرج وقد اتفقا وتعاهدا، فبلغها أنه قد تزوج، فأرسلت إليه: أنسيت أم أنت على عهدنا، فأرسل: عليك بحسن الظن فلن أنسى ما حييت وصالنا، فأرسلت: إن الرجال أولوا غدر، وأخشى غدرك فيما بيننا، فأرسل: أمنت من غدر ما دمت سالمة، وقد أضاء الأفق يا هند لنا، فأرسلت: لو كان غيرك ما صدقته، ولكنك عندنا صادق أبدا، فأرسل: إن كنت ذا صدق عندكم، فإن قلبى زاد بكم شغفا، فأرسلت: أقبل وعجل، فإن أبى قد قارب الأجل، فقدم وقد مات أبوها فتزوجا.

الراعى والسبع

١٢- الراعى ومية

مَـا بَـالُ مَيَّـةَ لا تَـأْتِي كَعَادَتِهَـا ... أَهَاجَهَـا طَـرَبٌ أَمْ صَـدَّهَا شُـغُلُ
لَكِـنْ قَلْبِـي لا يُلْهِيـهِ غَـيْرُكُمُ ... حَتَّـى الْمَـمَاتِ وَمَـالِي غَـيْرُكُمْ أَمَـلُ
لَوْ تَعْلَمِينَ الَّذِي بِي مِنْ فِـرَاقِكُمُ ... لَمَا اعْتَلَلْتِ وَلا طَابَـتْ لَـكَ الْعِلَـلُ[1]

مر يوما رجل مـن العـرب بـشاب يرعـى غـنما لـبعض النـاس فى الصحراء، فسلم عليه وسأله الضيافة، فأضافه خـير ضـيافة، فلـما جـن الليل أتته فتاة جميلة وجلسا يتحادثان، ثـم انـصرفت، فلـما هـم الرجـل بالانصراف قال له الشاب الضيافة ثلاثة أيام، وذبح له شـاة، وفى الليـل لاحظ القلق على الفتى فقال ما بك، قال لقد تأخرت عـلى ابنـة عمـى، وفى الطريق أسد أخاف أن يكون قد أصابها، فقال ومـا حكايتهـا؟ قـال كنت أحبها وزوجها عمى لغيرى، فتركت مالى وأهلى وبلدى ورضـيت بأن أعمل لدى زوجها بالرعى، حتى يتسنى لى رؤيتها، ثم تركه ومضى،

(١) الأبيات لعاشق مى – تزيين الأسواق فى أخبار العشاق

وعاد يحملها صريعة، وتركها وتقلد سيفه وبعد قليل عاد وهو يجر الأسد مقتولا، ثم طلب من الرجل أن يدفنه معها، ووضع السيف على الأرض وانكب عليه فمات.

اللوحة الأدبية

شاب أخرجه الحب عن الأوطان، وترك المال والأهل والخلان، من أجل نظرة حب أو لمسة حنان، حيث جاءه فى مرعاه أحد الضيفان، فأكرمه ونعمه وقال نم عندى فى أمان، فأتته ليلا جميلة لا يخطىء جمالها العينان، فتحادثا وتباكيا ثم مضت فى أمان، فهب الضيف بالانصراف، فقال: الشاب ثلاثة أيام إكرام الضيفان، فجن الليل ورأى الفتى قلقا حيرانا، ثم انشد ما بال مية لا تأتى كعادتها، أصدها عنى شغل، والله أبدا ما كان، فسأله الضيف عنها، فقال: ابنة عم لى أحببتها، ولكن أبى الأهل فافترق المحبان، وزوجت غيرى فلم تقدر على بعدها العينان، فتركت المال والأهل والخلان، ورضيت بخدمة زوجها، ورعيت له الأغنام، حتى تأتينى وتحادثنى كما رأيت، ثم تمضى فيبقى الحب بيننا والحنان، والليلة فات موعدها، والقلب من ذاك الفوت حيران، ثم انطلق مسرعا، وعاد بعد قليل يحمل الجثمان، وقد أصاب مية فى طريقها أسد جوعان، فوضعها وأخذ السيف وانطلق كالرهوان، يسابق الريح ويطوى الزمان، وعاد بالأسد مقتولا فألقاه، وارتمى عليها يقبل الجثمان، ثم أقبل على الضيف وقال: يا عم بحق من أمر بإكرام الضيفان، أن تجمعنا فى هذا الثوب ثم تنعينا الأهل والخلان، وتكتب على القبر ما أوصيك به، فالقبور للمحبين أوطان، ثم انكب على سيفه ومات الفتى الولهان، فواراهما ثم كتب على قبرهما:

كُنَّا عَلَى ظَهْرِهَا وَالْعَيْشُ فِي مَهَلٍ ... وَالشَّمْلُ يَجْمَعُنَا وَالدَّارُ وَالْوَطَنُ
فَفَرَّقَ الدَّهْرُ وَالتَّصْرِيفُ أُلْفَتَنَا ... فَصَارَ يَجْمَعُنَا فِي بَطْنِهَا الْكَفَنُ

من عرف اسمه
ولم يعرف اسم معشوقته

دوحة الحب

١٣- جهد بن مهجع العذرى

كتمت الهوى لمّا رأيتك جازعًا ... وقلت فتى بعض السرور يريد
وأن تطّرحني أو تقول فتية ... يضرّ بها برح الهوى فتعود
فورّيت عمّا بي وفي داخل الحشا ... من الوجد برح فاعلمنّ شديد[1]

انقطع جهد عن القوم فلم يعلم له مكان، فقابله أخ من العرب فوق جبل عرفات، فعرفه، وإن كان تغير بنيانه، وسأله عن حاله، فأخبره أنه بخير، فلما كانا بالموقف سمعه وهو يستغيث بربه من يوم الدوحة، فسأله الرجل وما يوم الدوحة، فأخبره أنه استظل يوما بدوحة، وتصادف أن أتى فارس على حصانه فاستظل بنفس الدوحة، وبقى معه ليلة، فاستلذ بحديثه، فلما قام ليلقى الدرع من على حصانه، ظهر له أنها امرأة، وأخبرته أنها ذات عفة وخلق، وباتت معه ليلتها، فتحادثا، وعلم أنها من أشراف العرب، فلما همت بالانصراف سألها

(١) لزوجة جهد – تزيين الأسواق

الزيارة، فأخبرته أن لها أخوة كُثر وأبا شديد الشراسة، فلم يستطع الذهاب إليها، حتى ازداد عليه التعب والسقم، فأشفق عليه الرجل وأخذه وذهب لأبيها وخطبها منه وأعطاه مهرا كثيرا، وتزوجا.

اللوحة الأدبية

وسيم بمحادثة النساء مغرما، حافظ للطُرَف والأخبار وشاعرا، انقطع يوما ولم يعرف له مذهبا، فلقيه أخ من العرب فوق عرفة داعيا، فسلم عليه بعدما عرفه، وإن كان لم يبق منه إلا رسمه، فسأله الفتى عن حاله، فشكا إليه ما به، فقال: ادع الله، - عل الدعاء يزيل ما به - ، فدعا الله يشكو خصيم يوم الدوحة، فسأله الصديق وما الدوحة؟، فقال: خرجت يوما على فرس، وبينما أنا بين غدوة وروحة، اشتد الحر، فلاح لى فى الأفق دوحة، فقصدتها على استظل بظلها، فبدا لى فارس يطارد صيدا ويقتله، ثم قصد الدوحة بعدما ظفر بصيده، فاقتربت منه وحادثته، فخلب عقلى صوته وجمال لفظه، فدعوته لشراب وشاركته، فشرب ثم قام ليصلح درعه، ويلقيه على فرسه، فتزحزح الدرع عن ثدى كالعاج شكله، فقلت: امرأة أنت؟، فقالت: ولكن أملك من العفاف أحسنه، ومن الخلق أجمله، فتحادثنا فسمعت من الحديث أجمله، ثم نامت فهممت بهجر العفة، ولكن المروءة تُمهل، ثم همت بالرحيل ، فقمت إلى الزيارة أسأل، فقالت: إن لى إخوة كثر وأبا ما أشرسه، ثم مضت وها أنا كما ترى، عليل ما أصابنى إلا الهوى، كلما اشتد بقلبى الجوى، أذهب إلى الدوحة فأشكو الهوى، وأذكر ما مضى، عل القدر يجمعنى بها، أو يحكم لى بحبها القضا، فقال: لا تدرى لعل الله بها لك قد قضى، إنى ذاهب معك إلى أهلها، فما أوحش من ذهاب الحب سدى، فلما ذهبا أحسن الوالد اللقا، فقال جئتك لبنتك خاطبا، فقال: مثلك للنسب مطلبا، فقال: لم أطلبها إلا للفتى، ابن أختكم، بعد أن عز عليه

اللقا، فقال : حسيب كريم ولكن أخيرها بينكما، فأومأ بموافقته الفتى، ففوضت الأمر إلى صاحبه فبزواجهما قضى، ثم جاءه بعد زمان مضى، فقال: كيف وجدت يا فتى؟ ، قال: أبدت لى كثيرا مما كان عن عينى اختفى.

حسرة الفراق

١٤- عياش الكنانى

نَهاري نَهارُ الناسِ حَتّى إِذا بَـدا ... يَ اللَيلُ هَزَّتني إِلَيكِ المَـضاجِعُ
أُقَضّي نَهاري بِالحَـديثِ وَبِـالمُنى ... وَيَجمَعُني وَالهَمَّ بِاللَيلِ جـامِعُ[1]

رآها عندما خرج من الحى يتنزه مع الفتيان، فأخذت عقله، فأتاها ليلا، فأخبرته أن لها أخوة كثر، قد يقتلونه لو رأوه، فلم يأبه لقولها وعاد مرة أخرى، فعلم أهل الحيى بذلك فأقسموا على تتبعه وقتله، فخرج خائفا من مجيئهم، وجلس متربصا بسفح الجبل، فأمطرت السماء فكفوا عن ملاحقته حتى يجف المطر، وخرجت حبيبته، وصديقة لها ليحذرانه، ولتسعد بلقياه، فحسرت رأسها ليتخلل شعرها المطر، فلما رآهما عن بعد ظن أنهما ممن يتبعانه من القوم، فأخرج قوسه وكان راميا، فأصاب حبيبته فى القلب، فلما صرخت صديقتها نزل مسرعا، فلما رآها قتيلة، قتل نفسه حسرة عليها.

(١) قيس بن الملوح فى ديوانه

اللوحة الأدبية

مساكين أهل الحب، لوعة فى البعد، وخوف وأسى فى القرب، وها هنا عبرات تسكب على قصة حب، إذ خرج فتية فى الحى، يبتغون حاجة فى القرب، فمرت جارية كأنها الشمس زالت عنها الحجب، أو البدر فى ليل التمام والنور منه انسكب، فرمقته بنظرة من لحظيها، كأنها سهم أصاب الفتى بالقلب، فحاورها وتابعها فلم تجب، فأضناه فى نهاره الصب، وأسقمه فى ليله التعب، وراسلها فأبت فأُضرمت النيران فى القلب، وغلبه الشوق إليها والحب، فعاد يطلب الوصل منها والود، فقالت: اذهب فأخوتى لا يعرفون الحب، وإن رأوك اجتثوا من صدرك القلب، فقال: لا إلا إن وضعت يدك فوق الصدر، حتى أشفى من أوجاع القلب، ووضعتها فمضى، ثم عاوده فى ليلة الصب، فعاد، فقالت: اذهب، قال: إلا برشفة تطفئ لظى القلب، وتعيننى على ليال الصب، فمكنته، وقد كان لان له منها القلب، وأخذها أضعاف ما به من وجد، وقالت: اذهب عنى ولا تعد.

وقد رآه أناس فى الحى كثر، فقالوا مال هذا الفاسق يسترق النظر، والله لنتبعنه ولنقطعن منه الوتر، فأرسلت إليه أن اهرب فقد أحاط بك الخطر، فجلس بعيدا يرتقب ويتبع الأثر، وأصاب الحى بالنهار المطر، فلما كان الليل ذهب السحاب وطلع القمر، فخرجت ومعها جارية لتراه وتمعن فيه النظر، وتحذرانه مما ينتظره من خطر، وهو فى أعلى الجبل يرقب الخطر، وقد نشرت شعرها لما أصابه من مطر، فلما رآهما ظن أنهما ممن يتتبع خلفه الأثر، وكان رام بالسهام لا يخطىء النظر، فأطلق سهمه

فما أخطأ منها القلب، فلما صرخت نزل ومنها اقترب، فلما رآها بكى وقال: ما هكذا يفعل المحب بمن أحب، ولا عيش فى الدنيا إذا ما مات الحب، فوجأ نفسه وعليها انقلب.آه من حسرة القلب، على فقد من أحب، أهكذا يفعل الحب، حين يملك القلب، آه من ليال الصب.

الحبيبة الكتوم

١٥- مالك والحبيبة الكتوم

يبكِني اليومَ أهلُ الـوُدّ والـشَّفَقِ، لم يبـقَ مـن مهجتـي إلاّ شـفا رَمَـقِ
اليوْمَ آخـرُ عَهـدي بالحيـاةِ، فَقَـد أُطلِقتُ من رَبقَةِ الأحزانِ والقَلَـقِ[1]

عشق الفتى ابنة عمه وهـى لا تعـشقه، فزوجـت وتركـت الحـى، فاعتزل الناس سنة لم يكلم فيها أحدا ولم ينطق بكلمة، ومـر رجـل بهـم فوجد الفتيات يحاورنه لعله ينطق، فلما سألهن أخبرنه، فعاده وواسـاه فى مصيبته ، فنطق بعض الأبيات ثم مات، فلـما مـات فجعـت عليـه فتـاة كانت تحبه وتكتم ذاك الحب، حتى تفتت كبدها من ذاك العشق فلحقت به.

(١)مالك صاحب القصة – مصارع العشاق

اللوحة الأدبية

عشق ابنة عمه وما عشقت، فتزوجت وإلى حيث يقيم زوجها مضت، فبكى بكاء حارا عليها وما بكت، فاعتزل وحيدا لسنة من الزمان مضت، كف فيها عن الكلام فصمت، فمر حاج على فتيات يجاورنه، يقلن: تكلم فلا خير فى من عن الكلام سكت، فسألهن عن حاله، فقلن: لم ينطق منذ سنة مضت، وأخبرنه بالقصة وكيف تركته الحبيبة ومضت، فنظره فإذا هو مضطجع بفناء البيت، كخيال لا ينطق ولا يلتفت، فقالت أمه: يا مالك هذا عمك يعودك، فنظر إليه والتفت، فواساه الرجل وعلى كتفه ربت، فتحرك لسانه وبالشعر نطق، ليبكنى اليوم أهل الود والشفق، فلم يبق من مهجتى إلا آخر رمق، اليوم آخر عهدى بالدنيا، فقد تركت الأحزان والقلق، ثم تنفس ومات بعدما شهق، فإذا بجارية غضة فجعت عليه وبكت، ونظم لسانها شعرا وأنشدت، ألا أبكى على حبيب أضناه السقام، وأضنى جسمه الكمد، ألا ليته يعود فأشكو إليه ما أجد، ولا أرى بعد فراقه إلا أن تفتت منى الكبد، ثم انثنت على كبدها، وإلى الموت مضت، آه يا ليتها أفشت الحب وما تكتمت.

ألا أُبَكّـي لِـصَبّ شَـفّ مُهْجَتَـهُ ... طولُ السَّقامِ وأضنى جسمَه الكَمَدُ.
يا لَيتَ مَن خَلّفَ القلبَ الهَيومَ بـه ... عِندي فأشكو إليه بعض ما أجِدُ
أَنَشْرُ تُرْبِكَ أسرَى لـــي النسيمُ بِهِ ... أم أنتَ حيثُ يُناطُ السَّحرُ والكَبِدُ[1]

(١) الفتاة العاشقة الكتومة – مصارع العشاق

وفاء زوجة

١٦- مالك الغسانى وابنة عم النعمان بن بشير

ألا ليتَ شِعري عن غزالٍ تركتُه، إذا ما أتاهُ مصرعي كيفَ يَصْنَعُ؟
فَلَوْ أنّني كنتُ المُؤخَّرَ بَعدَهُ لَما بَرِحَتْ نفسي عَلَيه تَطَلّعُ[1]

مالك الغسانى، فارس شجاع همام، تزوج من ابنة عم للنعمان بن بشير، وأحبها كثيرا وأحبته، وطلبت منه عدم الغزو، لشدة حبها له، فأبى وخرج غازيا، فأصابته طعنة علم أن فيها مصرعه، فبكى زوجته، وسأل كيف تصنع بعده، فبكته عاما ولم ينطق لسانها بكلمة، فقال أهلها الزواج خير لها، فأتى ملك من الملوك وخطبها، حتى كانت ليلة زواجها، بكت وأنشدت شعرا وفاضت روحها حزنا على بعلها.

(١) مالك الغسانى – مصارع العشاق

اللوحة الأدبية

شجاع همام، لا يخشى مصرعه، إذا سمع بغـزو أقلقـه مـضطجعه، وهرع فى أول القوم وسيفه معه، تزوج من جميلة رقيقة مكثت غير قليـل معه، فتحابا حبا جما ما أمتعه، واشترطت عليه البقاء، خوفا أن يلقـى فى الغزو مصرعه، ولكن المقاتل يجافيـه سـاعة الغـزو مـضطجعه، فـذهب غازيا فأصابه جرح علم أن فيه مـصرعه، فقـال: ألا ليـت شـعرى عـن غزال تركته، إذا ما أتاه خبرى كيف يصنع، فلو أنى كنت بعده، لكانـت نفسى عليه تطلع، فلما علمت بكت عاما، كلـما غابـت الـشمس وكلـما تطلع، فقالوا: زوجوها فالزواج للنساء أنفـع، فجـاء ملـك مـن ملـوك الأرض إليها يهرع، فنطق لسانها والناس تسمع، بشعر تمدح فيه مالكـا، وترثى فيه مصرعه، فلما انتهت قالت: ليس غيرك لى يا مالك ينفـع، ثـم شهقت وماتت، وعيونها على مالك تدمع، وعيون القوم عليها تدمع.

من لم يعرف اسمهما

قسوة الفراق

١٧- الغلام وجارية المهدى

ولقد ذكرتك والسياط تنوشنى عند الإمام وساعدى مغلول

ولقد ذكرتك والذى أنا عبده والسيف بين ذؤابتى مسلول[١]

غلام وجارية شبا معا وتحابا، ولكن فرق بينهما أن اشترى المهدى الجارية لتكون من جوارى القصر، ولكن الغلام لم يستطع فراقها، فطاف حول القصر لعله يراها، فلما رأته أدخلته عليها، فقام البعض بإخبار المهدى بذلك، فأتى إليه، فاعترف الغلام بجرمه، فجلده حتى وصل إلى عشرين جلده، ثم قرر أن يقتله، فقال الغلام قبل موتى أريد أن أنشد من الشعر القليل، فسمح له المهدى بذلك، فأنشد الشعر، فبكى من شعره كل من كان موجودا عند المهدى، فعفا عنه المهدى وجمع بينه وبين حبيبته.

---

(١) الغلام صاحب القصة وهو مجهول الإسم

اللوحة الأدبية

غلام له من العمر القليل، أضناه الحب، وفرق الزمان بينه وبين الخليل، حين ابتاع المهدى جارية لأمه، كانت إلى الغلام تميل، فجزعه البعد وابتغى القرب، وما له لقصور المهدى سبيل، و المحب لأمر الهوى ذليل، وبذل النفس فى سبيل الحب قليل، فطاف بالقصر علـه يلقى الحبيب، أو بنظرة من عينه ينول، فألفته خارج القصر ينشد الشعر ويجول، فأدخلته فأسرع الوشاة إلى الأمير، وقالوا: غلام فى غرفة الجارية يصول، فأتاه وقال ماذا فى جرمك هذا تقول؟، قال: أحببتها ولم أقو على فراقها، فجئتها وأعرف بأنى على جرمى لمقتول، فجاء بالسياط وجلده عشرين، ثم قال ما لى بعذابك وأنت لا محالة مقتول، فقال الغلام: أعلم وإن هذا على عظم جرمى لقليل، ولكن قبل موتى دعنى أنشد من الشعر القليل، فقال الأمير: أسمعنى ما تقول، فقال:

ولقد ذكرتك والسياط تنوشنى عند الإمام وساعدى مغلول

ولقد ذكرتك والذى أنا عبده والسيف بين ذؤابتى مسلول

فبكا من قوله الجلاد والسياف والأمير، وقال: اذهب فهى لك، فما للمحبين غير الجمع سبيل.

١٨- سيد العاشقين

يهواكِ، ما عشتُ، الفؤادُ، فإن أمُتْ[١] يتبعْ صدايَ صداكِ بين الأقبر

عشق رجل من ولد سعيد بن العاص حارية بالمدينة كانت تغنى، فهام بها ولم يخبرها بذلك رغم طول هيامه، وفى يوم من الأيام قرر أن يخبرها بحبه لها، فاقترب منها وألقى عليها بيتا من الشعر يسألها فيه عن حبها، فأخبرته بنفس طريقته أن بها ضعف ما به، وانتشر خبرهما فى المدينة، وكان ذلك فى عهد عمر بن عبد العزيز، فاشتراها له وأهداها إليه، فمكثت عنده سنة ثم ماتت، فلم يلبث بعدها كثيرا حتى وافته المنية كمدا عليها، فقال أبو السائب المخزومى: حمزة سيد الشهداء، وهذا سيد العشاق.

(١) جميل بثينة

اللوحة الأدبية

عاشق ولهان، أضناه الكتمان، لمغنية صوتها كطير يشدو بين أفنان، فهام بالروح وسلم بالقلب، والعقل حيران، أيبوح بحبه أم يؤثر الكتمان، فآثر البوح وإن ظن بعده الحرمان، فأتاها والبدر فى ليلة التمام، فقال: أتجزون بالود المضاعف مثله للولهان، فقالت: للذى ودنا جزاء الضعف وللبادى أجران، ولو أظهرت ما بى لملأ الأرض والسماء وفاض على الخلان، فعلم الأمير بحبهما، وهو خامس الراشدين، فاشتراها وله أهداها، ليصل الود بين المحبين، فما لبثت عاما إلا وأتاها اليقين، ففاضت روحها لرب العالمين، فلم يمكث بعدها من الأيام ثلاثين، كمدا وحزنا على الفراق المبين، ثم لحقها وهكذا وفاء المحبين، فقالوا : حمزة سيد الشهداء، وهذا سيد المحبين، وقد فاق بحبه الصالحين، فنحروا على قبره من الرقاب سبعين.

النخاس الكريم

١٩- الناسك والجارية

أللهَ يـا ظبيَـةَ خَيْفَـي مِنـى ... في مُحْـرِمٍ لِـوْلاكِ لمْ يُحْـرِمِ
وإنّـما حـجَّ ليلقـاكِ في ... جُملـةِ مـن يلقـاكِ في الموسِـمِ
أبَحـتِ مـا حَرّمَـهُ اللهُ مِـنْ ... قَتـلِ حَنيـفٍ نَاسِـكٍ مُحْـرِمِ
رُدّي عَلَيـهِ قَلبَـهُ تُـؤجَرِي ... وَلا تُبيحـي دَمَـهُ تـأثَمي[1]

فتى من النساك، سمع يوما بجمال جارية بمكة يأتى الناس إليها من كل صوب فيحجون إلى البيت، ثم يزورون النخاس ليروا الجارية ويجزلوا فيها العطاء، وقد رآها يوما مصادفة، وذلك فى يوم من أيام عرضها على الناس، فأحبها حبا شديدا فلما حجبها النخاس مرض الفتى واعتزل الناس، فزاره صديقه يوما وعرف ما به، فلما خرج من عنده ذهب إلى النخاس فأخبره ما بالفتى، فعاده النخاس فلما رآه على هذه الحالة، خرج من عنده وزين الجارية كما تزين فى أيام العرض،

(١) ابن السراج – مصارع العشاق

وخرج إلى السوق وأشهد الناس على أنه وهب الجارية لذاك الفتى الناسك، فلامه الناس، فقال: لقد قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾ (المائدة ٣٢) وقد أشرف الفتى على الهلاك وقد أحييته بالجارية، وأنتظر عند الله أجرى وثوابى.

اللوحة الأدبية

ناسك سمع يوما بجمال جارية، لا يخرجها النخاس إلا فى الأيام الغالية، أيام الحج حيث الناس من كل صوب آتية، ليروا جمالها ويبذلوا فيها النفائس الغالية، وصاروا يحجون للبيت ثم إلى حيث الجارية، ويأبى النخاس بيعها، ففى بيعها خسارة عاتية، فأقبل الناسك وأيام الحج ماضية، فرآها يوما فى أيام عرضها، ولم يدر بأنها هى، فوقع فى قلبه لها حب، فقرر أن يأتى فى الأيام التالية، فلما انتهى العرض حجبت، ولم يدر الناسك أين هى، فحزن حزنا شديدا، ومرض مرضا يذيب الجسم، ويذهب بالعافية، واعتزل الناس وقاسى البلاء فى الأيام الخالية، صامت اللسان حزين القلب والعين باكية، حتى جاء الموسم فخرج ينظر الجارية، فيذهب ما به وتعود العافية، فإذا احتجبت عاد لمرضه، حتى صار كعجز النخلة الخاوية، فرق له صديق وسأله ما بك؟، قال: والله ما أدرى ما بى، إلا أنى أشفى حين أرى الجارية، فإذا حجبت زالت عنى العافية، ولا أرى غير أنى أحببت الجارية، وإن كانت لا تدرى ما بى، وما أرى من وصول إليها واليد خاوية، فرأيت اعتزال القوم وانتظار الرحمة، فرحمة الله فى الكون سارية، فلا تخبر أحدا ولا تذيع أسرارى،

فخرج الصديق إلى مولى الجارية، وأخبره القصة كما هى، فعاده الرجل فوجده كخرقة بالية، فعاد لداره وأحضر عطورا وثيابا غالية، وكما فى الموسم قلدها الجارية، وخرج إلى السوق ونادى بأصوات عالية، ألا أيها الناس اشهدوا، أنى وهبت للفتى الناسك تلك الجارية، وقد أشفى على الموت، ودواؤه رؤية الجارية، وقد قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ (المائدة ٣٢) فها هى له وأنا أنتظر عند الله ما لى.

دير المجانين

٢٠- المجنون والعليلة

قالوا جُنِنت بمن تهوى فقُلتُ لهُم ... ما لـذَّةُ العيشِ إلّا للمجانينِ
هذا جنونى وهاتوا من جننت به ... إن كان يسوى جنونى لا تلومونى[1]

مر مار بدير للمجانين، فوجد فتى يجلس فى هدوء صبوح الوجه وضاء، فسأله ألك حاجة؟ فقال: طعام، فأتى له بالطعام، وقال: اطلب ما تشاء، فأمره أن يذهب إلى أحد البيوت ويقرأ عليهم بعض أبيات من الشعر، ففعل، فخرجت سيدة عجوز وردت على هذا الشعر بأن حبيبته عليلة، فعاد فأخبره فلما علم مات فى الحال، فعاد الرجل إلى البيت فوجد أن حبيبته قد ماتت أيضًا.

(١) الشبلى – مغناطيس القلوب

اللوحة الأبية

محب ولهان فى دار المجانين، يبكى هواه فمن ذا على الحب يعين، إن اشتكى الهوى قالوا: مجنون، وإن بكى قالوا: عليل، فكتم هـواه ولم يـبح إلا لقليل، فعاده يوما محب للمساكين، فقال: ألك حاجة، فقـال: طعـام فقد سئمت طعام المجانين، فقال الرجل: والله ما أنت بمجنون، فاطلب تجب وإنى على الفعل أمين، قـال: اذهـب إلى درب الـدهاقين، واطـرق الباب على اليمين، وقل: أرسلنى إلـيكم المجنـون، يـسأل عـن حـالكم ويقول: مجنونكم من ذا يحله من الجنون، ففعل فخرجـت عجـوز أتـت عليها السنين، ثم غابت وخرجت للزائر تقول: قل له: علـيلكم مـن ذا أعله يا مجنون، فأخبره فـشهق ومـات المجنـون، فعـاد إلى الـدار فـسمع صراخا وعويل، فقال من؟ قالوا: ماتت حبيبة المجنون.

ذكاء ملك

٢١- الأندلسى وجاريته الحسناء

بِنَا مِنْ جَوَى الأَحْزَانِ وَالحُبِّ لَوْعَةٌ ... تَكَادُ لَهَا نَفْسُ الشَّفِيقِ تَذُوبُ
وَلَكِنَّمَا أَبْقَى حَشَاشَةَ مُعْوِلٍ ... عَلَى مَا بِهِ عَوْدٌ هُنَاكَ صَلِيبُ
وَمَا عَجَبٌ مَوْتُ المُحِبِّينَ فِي الهَوَى ... وَلَكِنْ بَقَاءُ الْعَاشِقِينَ عَجِيبُ[1]

أندلسى باع جاريته الحسناء، فلما ذاق بعدها الفراق تحسر عليها وكادت نفسه تخرج معها، فأراد أن يستردها فأبى المالك الجديد، فذهب إلى الملك يشفع له، فأتى الملك بالرجل، فأبى الرجل أن يبيعها، وقال أنا أشد حبا منه له، فلما رأى الأندلسى رفض الرجل، ألقى بنفسه من القصر، ولكن شاء القدر أن يعيش، فأتى به الملك فسأله، فقال: لا حياة لى بعدها، فقال: الملك للمالك الجديد، لقد برهن هذا الرجل على حبه، فإن كنت مثله فألقى بنفسك، وإلا اشتريناها منك فأبى الرجل، فحمله رجال الملك ليلقوا به، فقال: لقد طابت نفسى بها له فليأخذها، فدفع الملك له حقها وردها إلى الرجل.

(١) لشاعر مجهول فى قصة مع عبد الله بن عباس- تزيين الأسواق فى أخبار العشاق

اللوحة الأدبية

عاشق لم يدر بأنه يحب، لقربه من حبيب القلب، حتى أصابه فى ماله فقر وجدب، فباع جارية له علها تأتيه بما ذهب، فلما فارقها تبعتها نفسه، وعقله خلفها ذهب، فقال: للمشترى خذ ما أملك واتركها، فقال: لا ولو كيلتها بالذهب، فاستعان عليه بأهل بلدته، فلم يسعفه منهم أحد، فقال: من يعيننى على مصيبتى، ونفسى له أهب، فقالوا: له اذهب واطلب عدل الملك، فذهب للقصر ساعيا إلى الملك، فأدخله فى عليائه وقال: اشرح لى ما بدا لك، فقال بعت روحى إلى غيرى ولها امتَلك، وما استطعت ردها منه فجئت إليك عنها أسألك، فإما تردها لى وإما يأخذنى إلى خالقى المَلَك، فرق لحاله المِلك، وأحضر المشترى، وقال: بالله أسألك، أن ترد له جاريته ولك ما شئت من المِلك، فقال: والله طابت نفسى بها ولن أبيعها حتى ولو طلبها الملك، وأخشى إن تركتها اليوم، غدا استغيث ليعيدها إلى الملك، ولا يستطيع أحد أن يأخذ منى ما أمتلك، فاعتذر إلى الأندلسى الملك، وقال: يا هذا إن العدل لا يتقتضى أن أردها لك غصبا ممن لها يمتلك، وها قد رأيت سعينا، فاذهب وكان الله معك، فقام وألقى بنفسه من العلياء، فارتاع عند رؤية ذلك الملك، فابتدره الغلمان فوجدوه سليما، وأتوا به إلى الملك، فقال: لم فعلت هذا؟، فقال: فقدت روحى، وهل يعيش من غيرها الجسد، فقال الملك: الله أكبر، ظهر الحكم لمن يجتهد، فقال: للمشترى ألم تقل أنك أكثر حبا لمن تمتلك، فقال : نعم أيها الملك، قال فإن صاحبك أبدى محبته وألقى بنفسه فداء، ولولا الأجل لم يعد، فإن كنت أكثر حبا فافعل فعله،

فإما إنتهى أجلك، وأما تنعمت بمـن تمتلـك، وإن لم تفعـل نردهـا لـه، ويبذل لك العطاء الملك، فذهب إلى العلياء ثم تراجع القهقرى، فأرادوا أن يلقوا به فتيان الملك، فقال: إن ألقيتمونى أمت، هى لـه فليهنـأ بهـا ، وأنعم بحياتى أيها الملك، فاشتراها منه وردها إليـه، فتعانقـا وانـصرفا، وضحك من حبهما الملك.

٢٢- العاشق المظلوم

لأخرجن من الدنيـــا وحبهمُ بين الجَوانح لم يشعر به أحـــد
أَلْقَيْتُ بيني وبين الحُزن معرفة لا تنقضي أبداً أو ينقضي الأبد[1]

هو فتى صغير عشق ابنة عمه وعشقته، ولكن لم يوافق أبوها على الزواج والجمع بينهما، بل واشتكاه إلى الأمير حتى يبعده عنها، وادعى بأنه يسيء الأدب وينطق بالفحش، فحبسه الأمير برهة ثم أطلقه، فلم يقترب من الفتاة مدة من الزمان، ولكن للحب أحكام، فتسلل إليها يوما، فأمسكوه وأخذوه إلى الأمير وادعوا بأنه سارق، فاعترف بذنبه حتى لا يفضح ابنة عمه، فلما هموا بأن يقطعوا يده، أرسل أخوه إلى الأمير وقد كان من صحبته، وأخبره بالقصة، فتعجب الأمير من الفتى الذى فضل حبيبته على يده، فزوجها له على كره من أبيها، فكان الناس يدعونه بالعاشق حتى وافته المنية.

---

(١) بشار بن برد

اللوحة الأدبية

صغير عاشق، بابنة عمه عالق، وهى له كذلك، ولا تريده أن يفارق، وعلى الزواج أبوها لم يوافق، واشتكاه إلى الأمير، وقال: فى الجوار فاسق، يسىء الأدب، وبالفحش دوما ناطق، فحبسه الأمير حينا، ثم أطلقه، فلم يدنو منها مدة ولم يقارب، ولكن الحب دوما على العقل غالب، فتسلل إليها فلما رأته افترشت له النمارق، ولم يقترب منها أبدا ولم يعانق، فشعروا به وقالوا: سارق، واصطحبوه إلى الأمير ومعه الشاهد، فأقر بالجريمة ولم ينكرها، فكل ما غير الفضيحة زاهق، فلما أقروا بقطع يد السارق، أرسل أخوه إلى الأمير، وهو عنده صادق، لقد علمت ما منا من سارق، ولكنه مظلوم مهموم عاشق، فأرسل الأمير يتبين أمر العاشق، فعلم الأمر ، فأحضره فقال: لم فعلت ذلك؟، قال: إنى فى عدل الإمام واثق، فزوجها له الأمير، وأبوها له كاره، وقال: ليس أهلاً لذلك، فقال: بل هو كذلك نعم الفتى من بذل نفسه من أجل حبه، فظل إلى أن مات وهم يدعونه بالعاشق.

عشق الملوك

ويبقى الحب

٢٣- أمنحتب وتى

وقد قادت فؤادي فـــي هواهـــا وطاع لها الفؤاد وما عصاها

خضعت لها في الحبّ من بعد عزّتي وكلّ محبٍّ للأحبّة خاضع[١]

أمنحتب، ملك من أعظم الملوك الذين جلسوا على عرش مصر، وتى فتاة من العامة لم تكن لها أصولا ملكية، وقد وقع حبها فى قلب أمنحتب، وأحبته مثلما أحبها، ولكن التقاليد تمنع زواج ابن الملك من العامة، ولكن أمنحتب لم يتنازل عن حبه لها، بل كاد أن يتنازل عن العرش من أجل حبها، فلما اعتلى العرش، غير التقاليد التى تمنع الحب وتقيده، وتزوج من محبوبته تى، وجلسا معا على العرش، وساد العدل فى المجتمع بسبب حب أمنحتب وتى ، وصارت قصة حبهما من أعظم قصص الحب فى التاريخ.

---

(١) الأحوص

اللوحة الأدبية

هو ابن ملك ليس ككل الملوك، تدين له البلاد ويركع له العبيد، وهى جميلة رقيقة ذات عقل رشيد،ولكنها من العامة، والعامة فى عرف الفرعون عبيد، عشقها والعشق ما له حدود، ولا تمنعه سدود، وإنما للملوك قواعد وتقاليد، فكيف لابن ملك بل إله؛ أن يعشق من العبيد، فصارحها بحبه جهارا، فقالت: لا يجرى داخلى دم الملوك، فقال: أنت فى دمى، والحب يبقى والملك يبيد، بالحب تنبض الحياة والحب سر الوجود، والملك يفنى والحب إلى خلود، قالت: والعرش؟، قال: بغير حبك لا يفيد، فلما اعتلى العرش نقد التقاليد، وتزوج الملك فتاته وإن كانت من العبيد، واعتليا الحكم سويا، وبحبهما تساوى السادة بالعبيد، وكان عهدهما عهدا للخير واليمن والرخاء الشديد، وغدت قصة حبهما إلى بقاء وخلود.

الملك البكاء

٢٤- عمرو بن كعب والعقيلة

إذا جَنَّ ليلي فاضت العينُ أَدْمُعاً ... على الخَدِّ كالغُـدران أو كالـسحائب
أَوَدُّ طُلوعَ الفجرِ والليـلُ قائـلٌ ... لقد شُدَّتِ الأفلاكُ بعد الكواكبِ[1]

عمرو بن كعب، كان حفيد الملك النعمان، فلما زهد جـده فى الملـك كفله عمه، وهناك قابل ابنة عمـه العقيلـة، فأحبهـا وعـشقها، فلـما أراد خطبتها طلب أبوها مهرا يليق بملك، فحزن عمرو، ولكـن فكـر وشـد الرحال إلى ابن كسرى ليطلب منه المهر لما لأبويها من تقارب فى الملـك، وفى الطريق قابله عارف، فأخبره بأنه لن يتم زواجه من العقيلـة، وكـان أبوها قد زوجها بالفعل أثناء رحلته، فأبت عـلى زوجهـا ، فأعادهـا إلى أبيها وهى مريضة بسبب حبها لعمرو، فلما عـاد عمـرو، حجبـت عنـه، فكان دائما يُشاهد وهو يبكى، فرأوه مرة ضاحكا فقالوا: ما بك؟ فقـال: غدا ألتقى العقيلة، فلما كان الغد إذا بـه ميتـا، فلـما ذهبـوا لنعيـه لعمـه، وجدوه قد فرغ من مواراة العقيلة.

---

(١) عمرو بن كعب تزيين الأسواق

اللوحة الأدبية

ملك جار عليه الزمان بأيامه الجميلة، وفارس من فرسان العرب بصفاته النبيلة، كفله جده النعمان صغيرا، فبقى فى الملك أياما طويلة، فلما زهد النعمان الملك، هان أمره وما باليد حيلة، فكفله عمه وهناك تلاقى والعقيلة، أعلم نساء العرب فى الأحوال وفى الأدب، وهى جد جميلة، ابنة عم له فهى فى الشرف والنسب أصيلة، فشغف بها حبا، واشتد غرامه ولعا، وباتت لياليه عليه طويلة، فخطبها إلى عمه، فأبى إلا مهرا يعجز عنه صاحب حيلة، فُغم وهُم وأحس بضياع العقيلة، فقالوا: أما لك عند الملوك حيلة، وجدك صاحبهم، والملوك أصحاب فضيلة، فاذهب وأخبرهم بأن العقيلة فتاة للملوك سليلة، وفى النساء جميلة، وفى الآداب والعلوم عليمة، وروحك بغرامها عليلة، فلن يردوك إلا بمهر العقيلة، فهمَّ بابن كسرى يذكره بأيام جديها الجميلة، وصفاتها النبيلة، فالتقى بعارف فأخبره بأن ما بيده حيلة، وأنه سيعود مردودا فلا سبيل إلى العقيلة، فعاد فوجد عمه قد زوج العقيلة، فهام على وجهه فى الصحراء عليلا.

وعز عليها فراقه، وما نسيت ذكرى الليالى الجميلة، وأبت على زوجها وإن كانت له حليلة، فما قربها وما مكثت معه إلا قليلا، فعادت إلى أبيها بكاءة عليلة، ومضت أيام وما اجتمع عمرو بالعقيلة، وما شوهد إلا باكيا ينشد: جن الليل وفاض الدمع، ولا أعرف للحبيب سبيلا، فرأوه يوما ضاحكا، فقال: الليلة نلتقى لقاء جميلا، ثم شهق شهقة ففاضت روحه، واتخذت إلى ربها سبيلا، فلما نعوه عمه، وجدوا

العم يوارى العقيلة، هكذا المحبون لا يرضون بغير الجمع بـديلا، فـإن عز فى الدنيا، فالآخرة له سبيلا. فيلكرمهما الرب، ويسعدا عنده بالحب، آه يالا حرقة القلب وآلامه الكثيرة.

الخلوة الأخيرة

٢٥- يزيد بن عبد الملك وحبابة

كفى حزنا بالواله الصب أن يرى منازل من يهوى معطلة قفرا[1]

يزيد بن عبد الملك تولى الملك بعد عمر بن عبد العزيز، وقد كانت له جارية يقال لها حبابة، اشتراها بأربعة آلاف من الدراهم، وولـه بها حبا، وأعطاها كل ما تريد، فكانت دائما فى مجلسه، وأراد أن يختلى بها يوما بعيدا عن الأعين، فأخذها فى قصر له بعيدا عن الجوارى والعبيد، وجلسا معا تداعبه ويداعبها، فأراد أن يلقمها حبة من العنب، فوقفت فى حنجرتها فماتت من فورها، فجلس بجوارها ثلاثة ايام يبكيها ولا يبرح المكان، حتى أخذوها منه عنوة، ودفنوها فى قبرها، لم يبرح القبر حتى مات بجوارها.

(١) جارية يزيد بن عبد الملك

اللوحة الأدبية

ولدنيا من قصص العشق المزيد، وأجملها عشق الملوك للجوارى والعبيد، وها هى قصة عشق بين حبابة ومولاها يزيد، حيث اشتراها بأربعة آلاف أو يزيد، وأغدق عليها من النعم المزيد، وقربها فكانت من مجلسه دوما غير بعيد، وحيث كانت كان بصره، فعنها أبدا لا يحيد، فتحابا وتآلفا وتقاربا فى هناء وسعود، فما عكر صفوهما سوى كثرة الجوارى فى القصر والعبيد، فنشدا الخلوة فى قصر عن الأعين بعيد، ليهنأ بها وتهنأ به، ومن شهد رضابها يستزيد، ولم يدريا بأن الزمان قاس وعنيد، فأخذت تتمايل وتغنى له وتعيد، ولم تدر بأن الموت بها يحيط، فألقمها بحبة من عنب فوقفت فى حلقها، وانتهى بموتها اليوم السعيد، فخفق قلبه، وطار لبه، وأقام بجوارها ثلاثة أيام ونظره عنها لا يحيد، وبكى بكاءً مريرا شق منه الخدود، فقالوا: شمت العدا بنا يا يزيد، ثم أخذوها منه كرها، ووضوعها فى نعشها إلى دارها الجديد، فأقام عند قبرها ولم يبرحه ينشد أمله المفقود، حتى حملوه إلى قصره، فلم يخرج منه إلا فى نعشه، فمات كمدا على الحب وحسرة على الحبيب، آه من ألم الفراق الشديد، وذكرى حبيب لن يعود.

هناء وكمد

٢٦- المعتمد واعتماد

حب اعتمادٍ في الجوانح ساكنٌ لا القلبُ ضاف به، ولا هو راحل[١]

في أحد الأيام، وبينما كان المعتمد بن عباد يتنزه مع وزيره ابن عمار على ضفاف الوادي الكبير قال المعتمد واصفا الماء المتموج وطالبا من ابن عمار أن يجيز: «صنع الريح من الماء زرد». وأمام صمت ابن عمار الذي طال، أتمت اعتماد قول المعتمد "أي درع لقتال لو جمد". فأعجب المعتمد بجمالها وسرعة بديهتها فلم يتخذها له كجارية بل تزوجها ورفع من شأنها ليمنحها الجميع لقب السيدة الكبرى بعد ذلك.

أحب المعتمد زوجته اعتماد الرميكية فأسرف في تدليلها. وفي أحد الأيام رأت اعتماد فلاحات يمشين في الطين و ينشدن بنشاط و فرح وحيوية ، فاشتهت المشي في الطين ، فأمر المعتمد أن يصنع لها طينا من الطيب. سُحقت كميات هائلة من الطيب والمسك والكافور وماء الورد ووُضعت على هيئة عجين حتى بدا كالطين بساحة القصر ، فخاضته مع

(١) المعتمد

جواريها . وحدث أن غاضبها المعتمد ذات يوم ، فأقسمت أنها لم تر خيرا منه قط ، فقال لها : ولا يوم الطين ؟ وجرى هذا القول مثلا للمرأة تنكر على زوجها فضله عليها.شاركت اعتماد زوجها المعتمد عز الملك وذل الأسر فصبرت وحاولت أن تخفف من وطأة الأسر والنفي على زوجها المعتمد ابن عباد وذلك بإضفائها نوعا من المرح فمرة قالت الرميكية لزوجها المعتمد : «ما لنا قدرة على مَرْضاتك في مرضاتك».عشقها المعتمد فاشتق حروف لقبه «المعتمد» من حروف اسمها «اعتماد». في آخر حياتها بالمنفى ، مرضت اعتماد فتوفيت، فلحق بها المعتمد إذ وافته المنية بعدها بأيام معدودات.

اللوحة الأدبية

شاعر رقيق وابن ملك، يمشى بين العامة وبهم يختلط، وعلى ضفاف النهر يوما، رأى الموج بفعل الريح يضطرب، فقال منشدا: «صنع الريح من الماء الزرد»، فأجابت: «وأى درع لقتال لو جمد» وكأن الجواب من النهر قد خرج، فأُلهب قلبه بالشوق واتقد، فإذا بحوراء لجمالها القلب ينقبض، فافتتن بجمالها وأرسل إليها خاطبا، لعل نيران الشوق بقربها تنخمد، ثم عاش بها ولها وعنها ساعة لم يفترق، حتى ولى العرش بعد المعتضد، فاشتق له من حروفها اسما، فمن اعتماد كان المعتمد، ورزق منها الكثير من الولد، وعاشا فى هناء وظنوه يدوم للأبد، حتى جاءه ما لم يكن يحتسب، فوقع فى الأسر وذهب المال والولد، وماتت من ذل الأسر اعتماد، ثم لحق بها المعتمد، بعد أن مات من الحزن عليها والكمد.

عشق الملوك

٢٧- ابن بهرام وابنة المرزبان

تـهْ دلالاً فأنـتَ أهـلٌ لـذا كـا وتَحكّـمْ، فالحُـسْنُ قـد أعطاكَـا
ولكَ الأمرُ فاقضِ ما أنتَ قـاضٍ فعـلي الجـمالُ قـدْ ولاّكـا[1]

كان بهرام ملكا عظيما، وكان ابنه لا يتشهى الملك، ولا يعرف قيمته، ويأبى التعلم، فسأل أحد معلميه عنه يوما فقال: إنه يهوى فتاة وهى سبب ما هو فيه، ففطن الملك، وكان رجلا حكيما، فذهب إلى والد الفتاة وكان مرزبانا، والمرزبان هو من رؤساء الفرس، وهو دون الملك، فقال: إنى أريد أن أزوج ابنى لابنتك، ولكن عليها أن تفعل ما أخبرها به، فأخبرها أن تراسله وتطمعه فى الوصل، حتى إذا جاء الوقت قالت: إنى لا أصلح إلا لملك، ففعلت، فلما قالت له ذلك، أخذ يجتهد فى تعلم كل فنون الملك حتى أصبح أحد أعظم الملوك، فقال الأب: كذلك يفعل الحب، وزوجها له وعاشا سعيدين.

---

(١) عمر بن الفارض فى ديوانه

اللوحة الأدبية

ملك من عظماء الزمان، ذكاء وحيلة لا يغلبان، وابـن لا يعـى مـن الملك شيئا، ولا يعنيه الرفعة والمكان، خامل النفس سيء الأدب سـليط اللسان، لا ينفعه علم ولا حكمة، ولو أن معلمه الحكيم لقمان، وقد جمع له علماء الزمان، فسألهم أبوه السبب، فقالوا عشق ابنـة المرزبـان، فقـال والله قد رجوت فلاحه الآن، فالحب خـير معلـم للإنـسان، فـذهب إلى المرزبان، وقال: أكتمك سرا لا تبوح به الآن، فقال أسر يا ملك الزمـان، فأخبره بحب ابنه لابنته، وما عليه من الهوى والهذيان، وأنها لـه، ولكـن ليس الآن، فهلا جعلتها تراسله بغير رؤية، وتغريـه بالوصـل إن ضـمن الأمان، فإذا استحكم طمعه تجنت عليه بالهجران، فإن استعتبها قالـت: ابنة المرزبان لا تصلح إلا لملك من ملوك الزمـان، وشـجعه المعلـم عـلى المراسلة والاطمئنان، ففعل المعلم وفعل المرزبان، فلما انتهت تجنت عـلى الفتى وآثرت الهجران، فلما علم ندم واستدرك مـا كـان، فـتعلم الأدب والحكمة وتخلق بأخلاق الفرسـان، وأصـبح عالمـا حكـيما مـن حكـماء الزمان، ثم سأل أباه خطبتها، فزوجه إياها واجتمع الحبيبان، فقال أبوه: هـى أفـضل النـاس عليـك فى الامتنـان، ولولاهـا مـا أصـبحت مـن الفرسان، فزدها بك تشريفا وحبا، ولا تبخل عليها بالحنـان، واعلـم أن الحب يغير حياة الإنسان، فلولاه لاندثر اسمك، ونسيك الزمان، وغـدا بالحب تصبح من ملوك الزمان، فعش سعيدا بالحب وبابنة المرزبان.

اليتيمة العاشقة

٢٨- أبرويز وشيرين

روحي للقاكَ يـا مناهـا اشـتاقتْ والأرضُ عـليّ، كاحتِيـالي، ضـاقَتْ
والنَّفسُ لقدْ ذابتْ غراماً وجوىً في جَنبِ رِضاكَ، في الهَوَى، ما لاقتْ[1]

أبرويز هو ابن الملك، وشيرين فتاة يتيمة تربت فى دار أحد الفقـراء بجوار الملك، وكان الفتى يدخل الدار ويلعب ويلهو معهـا، فلـما شـبا، حاول الرجل أن يمنعها خوفا من تعلق الفتى بها وغـضب الملـك، فلـما رآها يوما أخذت من الصبى خاتمـا؛ أمـر أحـدهم بإلقائهـا فى الفـرات، وترجته الفتاة ألا يفعل ورق لها الرجل، فالقاها بحث تـستطيع النجـاة، وعاد فأخبر وليها بغرقها، ونجت شيرين واحتمت بدير للرهبان، حتى آل الملك إلى أبرويز، ومـر علـيهم رسـله فـأخبرتهم بأنـه أمـة للملـك، فأخبروه فأمر بإحضارها وكافأ من جاءه بهذا الخبر، وبقى معا حتى قتل أبرويز، وروادها الملـك الآخـر عـن نفـسها فأبـت، فاتهموهـا بـالفجر

(١) عمر بن الفارض فى ديوانه

والفسوق، فأخبرته أنها توافق بشرط تسليمها قتلة زوجها، وتبرئتها من التهم، فوافق، فلما تسلمت قتلة زوجها قتلتهم شر قتلة، وأخبرت الملك أن عليها عهدا توفيه لزوجها، فأمر بفتح صندوقه، فدخلت على إبرويز فى صندوقه وشربت السم الذى كان فى الخاتم، ونامت معه تحتضنه حتى ماتت.

اللوحة الأدبية

وما زلنا ننتقل مع المحبين، فى قصة عجيبة من قصص العاشقين، فراق ثم لقاء وحب ثم حزن وأنين، إنها قصة أبرويز وشيرين، وقد شبت يتيمة عند فقير، بيته بجوار الملك ، وهو على الجيرة أمين، يأتيه الفتى وهو صغير، فيدخل البيت ويمازح شيرين، فتقاربا وتداعبا غير عابئين، بالملك أو بالرجل الأمين، فقال: يا فتاة إن لم تتركيه تهلكين، فأنَّى لفقيرة من ابن ملك مكين، حتى أخذت يوما خاتما فى أصبعه الصغير، فخاف الرجل وقرر التخلص من شيرين، فأمر بحملها إلى الفرات، وقال: الآن بفعلتك تغرقين، فحملوها إلى الفرات فتوسلت للحاملين، أن دعونى ولا تغرقون، فقالوا: حلفنا وما نحن بحانثين، ما لنا بد وسوف تغرقين، قالت: فاقذفونى فى ماء رقيق، فإن غرقت فذاك وإن نجوت فقد فعلتم ما تؤمرون، ففعلوا فتخلصت من الماء وأتت بعض الرهبان، فى دير على الفرات ماكثين، فقالت: لله وهبت نفسى فلا تردون، فدخلت الدير مع الرهبان، حتى آل الملك للفتى، وعلمت بذلك من رسله شيرين، فأعلمتهم أنها أمة للملك، وإن أخبروه عنها سُر، وأعطت الخاتم علامة لرسول أمين، فلما ورد الرسول وأخبره، أمر له بمال عظيم، وقال أنت عندنا اليوم مكين أمين، وأرسل المواكب تأتيه بشيرين، وكانت فى الجمال بنساء الزمان أجمعين، واجتمع الحبيبان بعد حين، وبقيا معا حتى قتل الملك، وضاقت الأرض بشيرين، وراودها مَن بعده فأبت، وامتنعت عن الطالبين، فرموها بالفجور المبين، واغتصبوا مالها وضياعها، وقالوا هى من الآثمين، فقال الملك: مالك

بد إما الهلاك وإما منى تتزوجين، فقالت: أفعل إن سلمت لى القاتلين، وبرأنى علماؤك من الفجور المبين، ويعرف ذلك العالمين، فقال لها: لك ما تريدين، فسلمها القتلة، فقتلتهم أجمعين، وبرأها على العالمين، ثم قال: هل بقى شيئ مما تريدين، قالت: نعم، وديعة أودعنيها الملك، إن تزوجت أردها كحامل للسر أمين، قال إذا نفتح الصندوق وإليه تدخلين، فدخلت صندوق الموتى شيرين، وشربت سما كان فى فص خاتمها الثمين، واحتضنت أبرويز، وماتت فى أحضانه فى الحين، آه من ظلم العالم للمحبين.

عشق وخلود

٢٩شاه جيهان وتاج محل

إنَّ الهوى لو كـان يَنْفُـذُ فيهِ حُكْمِـيْ أو قضائِـيْ
لَطَلَبْتُهُ وَجَمَعْتُـهُ مِـن كـلِّ أرضٍ أو سـماءِ
فَقَسَمْتُهُ بينـي وبـين حبيبِ نفسـي بالسـواءِ
فنعيش ما عشنا علـى مَحْضِ المـودةِ والصـفاءِ
حـتى إذا مُتنا جميـعاً والأمـورُ إلـى فَنَاءِ
ماتَ الهوى مِن بَعْدِنا أو عاشَ في أهلِ الوفاءِ[1]

شاه جيهان وممتاز محل، من أبناء الملـوك بـبلاد الهنـد، تزوجـا عـن قصة حب، وزادهما القـرب حبـا، وأنجبـا الكثـير مـن الأولاد، وكـان يصطحبها معه فى كل مكان، ووقفـت خلفـه وأنقذتـه مـن الكثـير مـن المؤامرات التى كانت تنسج له حتى يثنوه عـن الحكـم، وكانـت جـوادة كريمة أحبها كل من يعرفها ومن لا يعرفها من رعاياها، فلما دنت ساعة

(١) الأحنف

وفاتها أوصت الشاه ببناء ضريح عظيم لها، فأقام لها (تاج محل الهند) وهو من عجائب الدنيا السبع، ودفن جثمانها فيه، وما لبث أن تآمر عليه من يطمع فى السلطة، ثم حبسوه أمام هذا الضريح، فلما حانت وفاته أوصى بأن يدفن مع حب حياته، فدفن بجوارها وما زال قبرهما مزارا للناس من كل أنحاء العالم.

اللوحة الأدبية

قصة حب خلدها الزمان، وصارت عجيبة من عجائب الزمان، حين عشق الفتى شاه جيهان، ممتاز محل ابنة السلطان آصف خان، وعشقته وهو أيضا ابن سلطان، محارب شجاع ، وفتى همام ، ومحب وعاشق ولهان، قل أن يجود به الزمان، فجمع الزواج بابن ولى العهد وابنة السلطان، وزاد الحب بالقرب وما فرق بينهما الزمان، تنزل معه حيثما نزل، فى كل وقت وفى كل مكان، فى سلم أو حرب نديمان، فأنجبا الكثير من الولدان، وتغلبا على الحاسدين والحاقدين والطامعين فى السلطان، وجادت على الرعية بجود فيها وعطف وحنان، حتى لم يبق فقير فى ذاك الزمان، فأحبهما الناس وشاع اسمهما فى كل مكان، وسرت قصة حبهما فى كل مكان، ممتاز محل وشاه جيهان، حتى دنت ساعة الفراق، ودب الموت فى ابنة السلطان، فعانت من الآلام، وعانى من الأحزان، وجلس بجوارها فانهمرت دموعه وبكى السلطان، فقال: ما بك؟ قالت: أشعر بأن الموت قد حان، وأنى تاركتك وحدك للزمان، فلا تهلكنك الأحزان، واعدل بين الولدان، وأقم ضريحا يبقى وإن مر الزمان، فوفى وأقام ضريحا قل أن يكون مثله فى البنيان، تاج محل عجيبة الدنيا وعجيبة الزمان، ثم اعتقل وذهب عنه السلطان، ولم يفلت من قبضة السجان، فلبث فى السجن ثمان، ينظر يوميا إلى البنيان، ولم يفارقه الحزن يوما ولا الحنان، حتى جاء الأجل، فأوصى المقربون بوضعه بجوار حبه فى البنيان، هكذا انقضت قصة الحب واجتمع بعد الموت الحبيبان، ومازال ضريحهما يخلد قصة حبهما وإن طال الزمان، رحم الله تاج محل وشاه جيهان.

الرقصة الأخيرة

٣٠- سالومى

خَدَعوها بِقَولِهِم حَسناءُ وَالغَواني يَغُرُّهُنَّ الثَناءُ[1]

أعجب الملك هيرودس بزوجة أخيه، وأراد أن يستخلصها لنفسه، فقتل أخيه وتزوجها وانتقلت إلى قصره هى وابنتها سالومى، وهلل العامة وفرحوا لملكهم، ولكن النبى العظيم يحيى أقر بأن هذا الزواج آثم، وأنه لا يجوز، وأن هذه السيدة بغيا، فأرادت من الملك قتله، ولكن الملك يعرف حب العامة ليحيى، فلم يقتله، ولكن أرسله إلى السجن حتى يرجع عن قوله، فمرت عليه ليلا سالومى، وسمعت ترانيمه وصوته الجميل، فحن قلبها إلى الصوت، فدخلت عليه فى محبسه، فبهرها جماله الفريد، فأحبته وعرضت عليه نفسها، فأبى فكيف لنبى أن يفعل ذلك، وعاودت الكرة فأبى ونهرها ونعتها كما ينعت أمها، فقررت أن تتخلص منه، ولعلمها بأن الملك يعشق النساء، رقصت له فى يوم

(١) أحمد شوقى أمير الشعراء

مولده فى وسط احتفال عظيم، فمال إليها وأراد أن يـضاجعها، فقالـت: حتى تأتينى برأس يحيى، فأرسل سرية قبل أن تـتم رقـصتها، وأتـوا لـه برأس النبى يحيى، فرقصت وهى تحملها على كفيها، فأرسـل الله زلـزالا قويا أخذ الملك وأصحابه وملكه، انتقاما لنبى الله يحى.

اللوحة الأدبية

ملك لا يعرف للعدل طريقا، ولا للنصح صديقا، ولا للإخوة صليا، ازدانت له زوج أخيه وكانت بغيا، فقتله وانتقلت لقصره وتبوأت مكانا عليا، وجاءها الناس سجدا ، يقرون بالملك ويلقون التحية، إلا من كان حصورا نبيا، له فى القوم مكانة علية، قال: أثِم الملك وتزوج بغيا، فأمرته بقتله فخاف الرعية، فحبهم له جما، وكلمته فيهم قوية، فاكتفى بحبسه عله يمنع صوتا فى الحق قويا، فمرت ابنتها على سجنه، فسمعت ترانيما وصوتا نديا، يؤثر القلب لو كان حيا، فهامت به حبا، ودخلت عليه عشيا، فرأت جمالا فريدا بهيا، يؤثر الروح قبل القلب، وتبغى الجوارح به الصليا، فقالت: ها أنا لك وستعود حرا، فقال إليك عنى أتغوى نبيا؟، فقالت يشتهينى الملك، ويدفعنى مثلك فتيا!، فصمت وغادرت ولم تنس وجهه النديا، ثم عاودته عشيا، فقال إنما أنت وأمك سويا، فقالت: وما أمى؟ قال: بغيا، فقالت: إن ترفض حبى فلن تكون حيا، قال إنما ولدت لأموت شهيدا، ودوما كان الشهيد حيا، فجاءت إلى الملك تتمايل وكأنها حية، تميل بالجسد ويلفظ لسانها سما، فسال لعابه وهم بها هما، فقالت: لا إلا أن تأتينى برأس يحيى، فقال: أقتل من كان للناس نبيا، فقد جئت أمرا فريا، قالت هذا وإلا فاهجرنى مليا، وساعدتها أمها، فردخ الملك للبغايا وأرسل سرية، تغتال يحيى النبيا، جاءوا برأسه محمولا لترقص به، فمن أجل حبها قتلت نبيا، فأرسل الله زلزالا قويا، أخذ المَلك والمُلك والبغيا، ومات يحيى شهيدا ليظل حيا.

خاتمة

وهكذا تنتهى رحلتنا مع الحب عبر الزمان، وفى كل مكان، ولم ولن ينتـه الحـب مـادام الزمـان، فـالمحبون منـارات أضـاء الله بهـا الزمـان، وعلامات شرُف بها المكان، فلـم يخـل زمـان ولا مكـان مـن عاشـق أو محب، فبالحب عمر الكون مـذ آدم وإلى الآن، وإن لم يحـظ المحـب بمـن يحب، فيكفيه شرف الحب، وذكره فى صفوف العشق، فالحب هو النـور فى زمن الظلام، وهو الحقيقة فى زمن الأحـلام، وهـو الـصدق فى زمـن الأوهام، وهو الأمل فى زمن اليأس، وهو الأمانة فى زمن الخيانـة، وهـو الأمن فى زمن الخوف، وهو البراح فى زمن الضيق، وهو السلام فى زمن الحرب، وهو الجمال فى زمن القبح، الحـب وحـى يلقيـه الله فى القلـب، الحب رزق، الحب رحمة، الحب دين، بل خير الأديان قـال تعـالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ (آل عمران ٣١).

حسن خليل